الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جـامعة محمد الصديق بن يحي- تاسوست –

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

عنوان المذكرة

البعد التداولي للتقديم والتأخير في الخطاب القرآني

(قراءة في نماذج مختارة من القرآن الكريم)

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: لسانيات عربية

إعداد الطالبتين:

- خلود منيش
- خولة ديمش

إشراف الأستاذ:

أحمد برماد

أعضاء لجنة المناقشة

الأستاذ: محمد بولحية	جامعة جيجل	رئيسا
الأستاذ: أحمد برماد	جامعة جيجل	مشرفا ومقررا
الأستاذ: عثمان لالوسي	جامعة جيجل	مناقشا

السنة الجامعية: 2020/2019.

بسم الله الرحمن الرحيم

الشكر والعرفان

قال تعالى:« وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ »

سورة إبراهيم(الآية:07)

عبارة شكر وتبجيل، كلمات احترام وتقدير كلّها امتنان واعتراف بالجميل، نشكر الله عز وجّل في السّر و الجهر، على نعمه التي لا تعّد ولا تحصى. والصلاة والسلام على رسوله الكريم.

- إليك أستاذنا الفاضل "برماد أحمد" شكرا على الصبر والتوجيهات.
- إلى كلّ من ساندونا في إنجاز هذا البحث.
- إلى من لم ينسونا من دعائهم طوال مشوارنا الجامعي، الوالدين الكريمين بارك الله في أعمارهم.
- إلى الذين داعبت أيديهم لوحة المفاتيح بكّل صبر وتجلد حتى نخرج هذا العمل في ثوب جميل.
- إلى كلّ من خطّ بحرف، بكلمة أو نصيحة في إنجاز هذا البحث.
- إلى كلّ من ساعدنا من قريب أو بعيد.

فألف **شكرا**

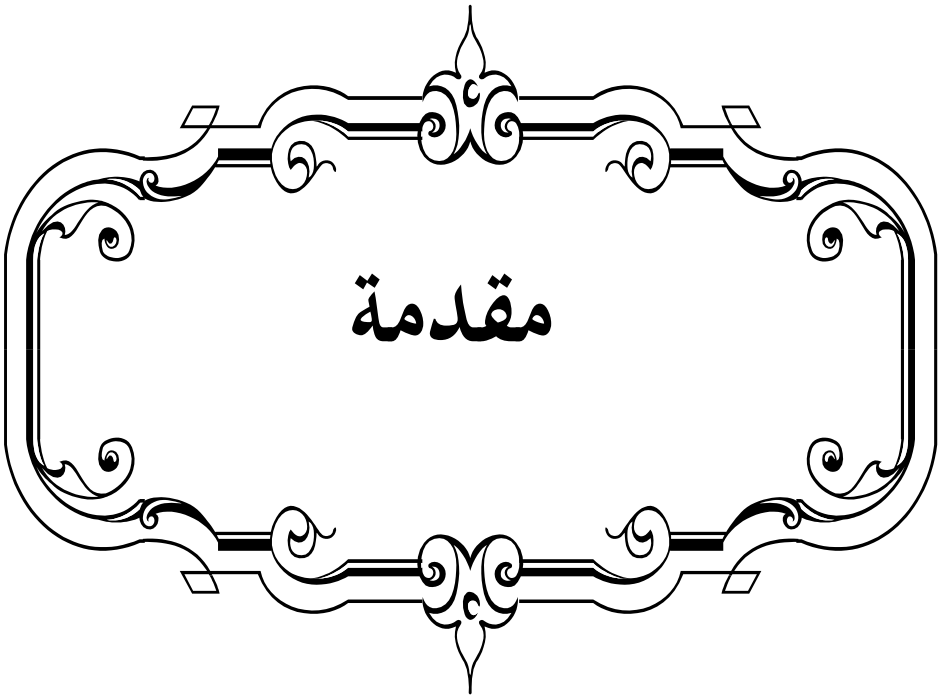
مقدمة

إنّ أفضل ما يفتح به الكلام، الحمد لله، وأحق ما يمسك به الأنام، دين الله، فنحمدك اللهم على جميل النعم، ونصلي ونسلّم على نبيك خير الأممّ، سيّدنا محمد المبعوث بآيات البلاغة والفصاحة، المنعوت بِسَجَاحَة الخلق وكرم السماحة، وعلى آل بيته السالكين مجازه، وأصحابه أعلام الهداية الناسجين طرازه.

اندهش العرب من إعجاز القرآن الكريم وبلاغته. فكان ولا يزال القرآن الكريم بإعجازه البلاغي الملهم الأول لجميع الدراسات اللغوية والأدبية. وقد جعل الله اللغة العربية وعاءا للقرآن لخصائصها المستمدة من لدنه، ولهذا اشترط العلماء في المجتهدين المفسرين لكلام الله سبحانه وتعالى أن يكونوا على معرفة بقواعد اللغة العربية.

ويعتبر أسلوب التقديم والتأخير من ظواهر النحو العربي، ولقد ورد هذا الأسلوب في التنزيل المحكم وبلغ الذروة العليا والمقام الأسمى، فوضع كل حرف من حروفه وكلّ كلمة من كلماته في موضعها المناسب في نظم الآيات. فكلّ كلمة من كلماته وضعت وضعا محكما، اقتضته الحكمة الإلهية، سواء أكانت هذه على أصلها في الترتيب أو قدّمت وأخرت عن موضعها.

وفي هذا الإطار يندرج موضوع بحثنا الموسوم بعنوان:

البعد التداولي للتقديم والتأخير في الخطاب القرآني: قراءة في نماذج مختارة من القرآن الكريم.

التداولية علم جديد للتخاطب تطورت في السبعينيات من القرن العشرين، وقد ظهرت ردا على ما اعترى المناهج والنظريات اللسانية السابقة، نخص بالذكر: المنهج البنيوي والمنهج التوليدي التحويلي وغيرها من المناهج اللغوية الصورية التي ركزت في دراستها للغة على الجانب الشكلي وأغفلت الجانب الثقافي والاجتماعي.

تبقى النظرية التداولية من المناهج التي جاء بها اللسانيون الغربيون وحاولوا جاهدين تطبيقها على اللغة العربية، وربطوها بأغراض المتكلمين ومقاصدهم أين تستمد اللغة وظيفتها من رصد العلاقات القائمة بينها ومستعمليها. فقد درسنا ظاهرة التقديم والتأخير وربطناها بالتداولية. نظرا لأهمية هذه الظاهرة في تقدير معاني اللغة ومقاصد الكلام، ونظرا لمحاولات التجديد الساعية في التراث اللغوي النحوي، من طرف اللسانيين الغربيين وخاصة من خلال تطبيقهم المنهج التداولي على الدرس النحوي أردنا أن نبحث ما إذا كان للمنهج التداولي تأثير في ظاهرة التقديم والتأخير في القرآن.

وقد دفعتنا لإنجاز هذا الموضوع مجموعة من الأسباب نذكر منها:

– اهتمامنا بالدراسات اللغوية عامة والتداولية خاصة.

– الوقوف على ظاهرة لغوية نحوية بلاغية (التقديم والتأخير) تجمع بين علمين في آن واحد: علم النحو وعلم البلاغة.

– كتاب الله المقدّس معجزة ربّانية ومنبع كلّ العلوم والمعارف، فكتاب بهذه المنزلة لابّد من الخوض في خباياه، وحرّي بطالب اللغة شحد همته بدراسته والوقوف على أسراره.

إن الحديث عن البعد التداولي للتقدّيم والتأخير في الخطاب القرآني جعلنا نضع إشكالية رئيسية هي:

– فيما يتجلى البعد التداولي للتقديم والتأخير؟ وهل كان للتقديم والتأخير في القرآن الكريم استجابة لعناصر تداولية مقامية ؟ وهي إشكالية رئيسية تتفرع منها مجموعة من الإشكاليات الفرعية:

- ما هي التداولية ؟ ما هي أسسها واتجاهاتها ؟ ما هو التقديم والتأخير ؟
- كيف أسهم الدرس اللساني التداولي في دراسة التراث اللغوي العربي ؟
- كيف عالج النحاة والبلاغيون ظاهرة التقديم والتأخير ؟
- ما هي أهم الأسباب النحوية والأغراض البلاغية للتقديم والتأخير ؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات ارتأينا وضع خطة ممنهجة تمكننا من التحكّم في موضوعنا حيث قسّمنا البحث إلى:

ثلاثة فصول: الفصلان الأولان : يخصّان الجانب النظري، فالفصل الأول الموسوم بعنوان: البعد التداولي في اللسانيات. يندرج تحته مبحثان: فالمبحث الأول الموسوم بـ: التداولية مفهومها، نشأتها.

حاولنا من خلاله ضبط المفهوم المعجمي والاصطلاحي للسانيات التداولية. كمّا فصلنا في أهم العوامل التي ساعدت في نشأة التداولية عند الغرب. وأشرنا إلى المنحنى التداولي عند العرب.

أما المبحث الثاني: فكان بعنوان مباحث التداولية.

حاولنا فيه هو الآخر الإتيان بأهم قضايا التداولية: أفعال الكلام، السياق، الاستلزام الحواري، الإشاريات والافتراض المسبق.

كما نبّهنا على تلك العلاقة القائمة بين التداولية وبعض العلوم الأخرى التي تمّد الصلة باللغة على سبيل الذكر: علم النحو وعلم البلاغة.

أمّا الفصل الثاني: فكان بعنوان: التقديم والتأخير في الفكر النحوي البلاغي.

والذي يندرج تحته هو أيضا مبحثان:

وعليه كان عنوان المبحث الأول: التقديم والتأخير في الدراسات النحوية

تناولنا فيه: المفهوم المعجمي والاصطلاحي للتقديم والتأخير، كما ذكرنا جهود أهم النحاة في دراسة التقديم والتأخير.

أما المبحث الثاني فعنوناه ب: التقديم والتأخير في الدراسات البلاغية. حاولنا فيه ذكر أهم جهود البلاغيين في دراسة التقديم والتأخير. وماهي أهّم الدوافع والأغراض البلاغية التي من أجلها تقدم أمد عناصر الإسناد عن الأخرى في الجملة العربية.

وبالعودة إلى الفصل الثالث الذي كان فصلا تطبيقيا خالصا فعنوانه مرسوم ب: دراسة تحليلية تداولية للتقديم والتأخير في القرآن الكريم (نماذج مختارة)

ينطوي تحته مبحث واحد بعنوان: البعد التداولي للتقديم والتأخير في القرآن الكريم.

قمنا فيه بتعريف القرآن لغة واصطلاحا وأهمّ مسّمياته. أما الدراسة التحليلية التداولية للتقديم والتأخير في القرآن فقمنا بأخذ سور القرآن واستخرجنا منها شواهد نحوية تضم ظاهرة التقديم والتأخير ثم حاولنا تفسيرها بالرجوع إلى كتب التفاسير وذلك خوفا من تأويل النصوص بما لا تحتمل ثم، استخرجنا أسباب نزولها التي سهلت علينا ربطها وقضايا التداولية من سياق ومقصدية المتكلم والمتلقي والمخاطب...

وذيلنا البحث بخاتمة كانت بمثابة حوصلة شاملة لأهم النتائج المحصل عليها من هذه الدراسة.

إن صيغة الموضوع تفرض أحيانا نوع المنهج وهو ما حصل معنا، اتّبعنا المنهج الوصفي التحليلي، وهو المتماشي وطبيعة الموضوع. بالإضافة إلى اعتمادنا على آليات المنهج التاريخي الذي ساعدنا على تتبع مسار اللسانيات عامة والدرس اللساني التداولي خاصة منذ نشأته.

وممّا لاشك فيه أنّ موضوعنا هذا قد سبقنا إليه عدد كبير من الدارسين والباحثين، حاولوا الربط بين التقديم والتأخير في القرآن الكريم وبين المفاهيم اللسانية الحديثة، خاصة تلك التي جاءت بها اللسانيات التداولية. ومن بين هذه الدراسات التي تمس موضوعنا:

*دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم، دراسة تحليلية، منير محمود الميسري.

*الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي، المؤيد عبيد أل صونيت.

*أسلوب التقديم والتأخير في تنزيل الحكيم.

أمّا أهم المصادر والمراجع التي اعتمدها البحث فيمكن أن نذكر: « القرآن الكريم ». وقد كان المدوّنة الأساسية التي حاولنا من خلالها استجلاء أسلوب التقديم والتأخير في القرآن الكريم.

إضافة إلى المصادر والمراجع أخرى ويمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: فيمثل المصادر والمراجع التي اعتمدنها في تتبع مفهوم التداولية في اللسانيات الحديثة ويأتي على رأسها:

*إلفي بولان: المقاربة التداولية للأدب. وفرانسواز أرمينكو. المقاربة التداولية.

ويضاف إلى كل هذا بعض الدراسات العربية التي ساهمت في تقريب هذا الاتجاه اللساني للقارئ العربي على سبيل الذكر:

*مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب.

*محمود أحمد نخلة: أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر.

أمّا القسم الثاني منها: فيتمثل في تلك المصادر والمراجع التي اعتمدنها في تقصي مفهوم أسلوب التقديم والتأخير وذكر أهّم جهود النحاة والبلاغيين في دراسة هذه الظاهرة وعلى رأسهم:

*غادة أحمد قاسم البواب: التقديم والتأخير في المثل العربي، دراسة نحوية بلاغية.

*فضل حسن عبّاس: البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني)

أمّا القسم الثالث من المراجع فيتمثل في كتب التفاسير وكتب الإعراب وعلى رأسهم.

*محمد الطاهر بن عاشور « تفسير التحرير والتنوير »

*الزمخشري: الكشاف

وكتب الإعراب على رأسهم:

*هادي نهر: الإتقان في النحو وإعراب القرآن

*محمد باربجي: الياقوت والمرجان في إعراب القرآن

وقد واجهتنا عدة صعوبات أثناء هذا العمل فمنها:

*وباء كورونا الذي سلطّه الله على عباده، فهذا الوباء جعل العالم بأسره تحت سجن لا يعلم متى يكون إطلاق سراحه، فهذا الوباء (كوفيد 19) هو السبب والمتسبب في إعاقة هذا العمل وإعاقة التواصل بيننا.

*قلة الدراسات التطبيقية في مجال اللسانيات التداولية التي يمكن أن تخدم هذه الدراسة.

في الأخير نرجو من الله عزوجل أن نكون قد وفقنا فيما سعينا إليه خلال بحثنا هذا.

ولا ننسى أن نكرّر شكرنا وامتناننا للأستاذ الفاضل: " برماد أحمد " جزاك الله خيرا يا أستاذ، وشكرا على التوجيهات والنصائح التي قدمتها لنا لإتمام هذا العمل، كما نتقدم بشكرنا إلى أعضاء لجنة المناقشة ونرجو أن نكون قد وفقنا فيما سعينا إليه، وما توفيقنا إلاّ بالله سبحانه وتعالى.

الفصل الأول

المبحث الأول: التداولية: مفهومها، نشأتها.

المطلب الأول: مفهوم التداولية.

عرف مصطلح التداولية مدلولات عديدة منذ ظهوره لأول مرة، «حيث يعود أصل إشتقاق هذا المصطلح إلى الكلمة الإغريقية pragma وتعني الشيء نفسه في جميع معاني الكلمة، وتعني أيضا: الفعل، التنفيذ، الانتهاء، أو إتمام الفعل. طريقة التصرف والتأثير في الآخرين نتيجة الفعل (Action)، وتحيل إلى الكلمة اليونانية LA Prascis التي تفهم بوصفها تحويلا للواقع والأنا».[1]

لغة:

يرجع الأصل اللغوي للتداولية إلى مادة (د.و.ل). «فـ: الدَّولة والدُّولة: العقبة في المال والحرب سواء، وقيل : الدُّولة بالضمّ في المال، والدَّولة بالفتح في الحرب (...)

وقال " **الزجاج** " : الدُّولة اسم الشيء الذي يتداول والدَّولة: الفعل والانتقال من حال إلى حال. كما ورد في موضع آخر من ذات المعجم: وتداولنا الأمر أخذناه بالدول، وقالوا: دواليك أي؛ مداولة على الأمر.

قال **سيبويه:** إن شئت حملته على أنّه وقع في هذه الحال، ودَالَتِ الأيّام أي دارت، و الله يُداولها بين النّاس. وتداولته الأيدي : أخذته هذه مرّة وهذه مرّة »[2]

قال " **ابن الأعرابي** " : « يقال دَوَالِيكَ مَنْ تَدَاوَلُوا الأمر بينهم. يأخذ هذا دولة وهذا دولة. وقولهم: دَوَاليكَ : أي تداولاً بعد تداولٍ. »[3]

ورد عند كل من "الزجاج" و "سيبويه" و"ابن الأعرابي" أنّ هذا اللفظ (التداولية) يدور حول معنى مشترك وهو التعاقب والدوران على الشيء والانتقال من حال إلى حال ومن مكان إلى مكان أخر.

[1] لفي، بولان. المقاربة التداولية للأدب. تر: محمد تنفو وليلى أحمياني، ط1، القاهرة : رؤية للنشر والتوزيع، 2018، ص 34.

[2] أبو الفضل جمال الدين، محمد بن مكرم ابن منظور. «لسان العرب». ط5، ج5، بيروت–لبنان: دار صادر للطباعة والنشر، 2005، ص ص 327-328.

[3] مرجع نفسه. ص 328.

ولا تكاد المعاجم الأخرى تخرج عن هذه المعاني، فقد جاء في معجم أساس البلاغة "للزمخشري" في مادة (د و ل) « دول: دَالَتْ له الدولة، ودالت الأيام بكذا. وأدال الله بني فلان من عدوهم: جعل الكرّة لهم عليه، وعن " الحجاج " قال : إن الأرضَ ستَدَال منَّا كَمَا أدلنا منها (...) ».[1]

وورد لفظ تداول عند "حنا غالب" بمعنى: «التناوب على الشيء، وناوبه وداوله وغايره: ويقال تَنَاوَبوا على الأمر وتَدَاوَلوُه».[2]

أمّا في **المعجم الوسيط**: «فالتداول من قولنا: أدال الشيء إدالة جعله مُتَدَاوِلا، وأدال الله بني فلان من عدوهم: نَصَرَهم وغَلَبَهُم عليه ونزع الدولة منه وحولها إليهم. داول الله الأيام بين الناس أي؛ صرّفها لهؤلاء تارة ولهؤلاء تارة أخرى».[3]

فمن خلال هذه المعاني اللغوية نخلص إلى أنّ: التداولية في المعاجم العربية بمعان مختلفة وهي:

- تعاقب وتناوب القوم على الأمر.
- انتقال المال والملك والدولة من قوم إلى قوم آخر.
- التحول من حال إلى حال أخرى. ومن مكان إلى آخر.

ووردت التداولية بمعناها اللغوي في القرآن الكريم ودليل ذلك الآيات الآتية:

﴿**وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾سورة البقرة [الآية 188].

«بمعنى: لا تأخذوا أموالكم، أي: أموال غيركم، أضافها إليهم؛ لأنه ينبغي للمسلم أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ويحترم ماله كما يحترم ماله؛ ولأنّ أكله لمال غيره يجرّئ غيره على أكل ماله عند القدرة».[4]

---

[1] جار الله، محمد بن عمر الزمخشري. "أساس البلاغة ". تح: مزيد مغيم وشوقي المعري، ط1، لبنان: مكتبة لبنان ناشرون، 1998. ص 245.

[2] غالب، حنا. كنز اللغة العربية: "موسوعة في المترادفات والأضداد والتعابير"، فهرس الألفاظ، د ط ، لبنان: مكتبة لبنان ناشرون، د ت. ص 04.

[3] مجمع اللغة العربية جمهورية مصر العربية "المعجم الوسيط". ط 4، القاهرة : مكتبة الشروق الدولية للطباعة والنشر، 2005، ص 304.

[4] عبد الرحمن بن ناصر، السّعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان .تح : عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط2، المملكة العربية السعودية: دار السلام للنشر والتوزيع، 2002، ص 85.

وقال أيضا عز وجل:

﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ سورة آل عمران [الآية140]

وفي قوله أيضا :﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ ﴾ سورة الحشر [الآية07]

إن لفظ التداولية قد أُستعمل في كتابه عز وجل بمشتقاته : دولة، نداولها. تدلوا بمعاني تغير وتحول حال القوم من حال إلى آخر وانتقال الملك من قوم إلى آخر.

فالمعاني متغيرة ليست ثابتة حيث تختلف من سياق لآخر. إنّ كلمة التداولية لم ترد صريحة وكلّ ما ورد في معناها اللغوي عبارة عن مشتقات لها.

اصطلاحا:

يعود استعمال التداولية إلى الفيلسوف "شارل موريس" عام 1938 م. حيث عرفّها: «بأنّها جزء من علم العلامات فهي في نظره تعالج العلاقة بين العلامات ومستعمليها»[1].

«لقد جاء اهتمامه لهذه الدراسة كردّة فعل على معالجات "تشومسكي" للغة بوصفها أداة تجريبية».[2] «فأراد بهذا أن يخرج البحث اللسانيّ من بوتقة البنية الجامدة عند البنيويين. وكذا من عجز النحو التوليدي من تفسير الظواهر اللغوية، خصوصا ما تعلّق منها بالأداء الفردي وما يتعلق به من توجيهه لكلامه وتحديد مقصوده»[3].«فجاءت التداولية وطورّت مفهوم الملكة اللغوية إلى مفهوم أوسع الملكة أو القدرة التواصلية. وتجاوز البحث اللساني التداولي البنية إلى ما يحيط بها من متكلّم ومستمع ودلالة وسياق وغيرها. وبهذا يكون " شارل موريس " قد جعل الاستعمال هو المعيار الوحيد القادر على

[1] فرانسواز، أرمينكو. المقاربة التداولية. تر: سعيد علوش، د ط، الرباط : دار الإنماء القومي، 1986، ص 13

[2] عبد الرحمان، بشلاغم . (تجليات مفاهيم التداولية في التراث العربّي. تفسير فخر الدّين الرازي لسورة " المؤمنون " أنموذجا) . مذكرة لنيل شهادة الماجيستر في اللسانيات العامة. جامعة أبي بكر بلقايد. تلمسان. الجزائر، 2013-2014، ص 6.

[3] بلخير، أرفيس. « الأبعاد التداولية لمباحث التقديم والتأخير عند العرب » . مجلة الأثر، العدد 32، (ديسمبر2019) : ص 207.

فهم اللغة وهذا المعيار خاضع للعديد من الضوابط، تخاطبية نفسية واجتماعية أو ما يعرف باختصار بـ " السياق "». [1]

إنّ أغلب المفاهيم الاصطلاحية للتداولية لا تخرج عن الإطار العام الذي تبنّاه " تشارلز موريس " ولكن هذا لا ينفي وجود على الأقل بعض الشروحات والتفاصيل، وهذا ما ساهم في استيعاب هذا العلم وتطوّره ومن بين هذه التعريفات نذكر ما يلي:

إنّ التداولية في الدرس اللسانيّ الغربي الحديث تعني : « دراسة اللغة حال الاستعمال؛ أي حينما تكون متداولة بين مستخدميها.» [2]

فهناك من ركّز على الخطاب. وعدّها (التداولية) : « مجموعة من البحوث المنطقية اللسانية التي تعنى باستعمال اللغة، وتهتم بقضايا التلاؤم بين التعابير الرمزية والسياقات المرجعية.» [3]

وهناك من ربطها بالمرسل فعرّفها بأنّها: « كيفية إدراك المعايير والمبادئ التي توّجه المرسل عند إنتاج الخطاب، بما في ذلك استعمال مختلف الجوانب اللغوية في ضوء عناصر السياق. بما يكفل ضمان التوفيق من قبل المرسل إليه عند تأويل قصده، وتحقيق هدفه.» [4]

أمّا في الدرس اللساني العربي، فقد برزت جهود جادة رغم قلتّها، من أهمّها جهود الباحث " طه عبد الرحمان" و" مسعود صحراوي" و"أحمد المتوكل"، حيث ترجع ترجمة المصطلح الأجنبي "pragmatiques" بالتداوليات إلى الباحث المغربي "طه عبد الرحمان" سنة (1970). ويقول في هذا الصدد: « وقع اختيارنا منذ (1970) على مصطلح "التداوليات" مقابلا للمصطلح الغربي براغماتيقا "لأنّه يوفي المطلوب حقه، باعتبار دلالته على مَعْنَيَيْ "الاستعمال" و"التفاعل" معا. ولقي منذ ذلك

[1] م ن. ص ن.

[2] خليفة ، بوجادي. في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم. ط 1، الجزائر: بيت الحكمة للنشر والتوزيع، 2009، ص 151.

[3] ينظر، فيليب، بلاشيه. التداولية من أوستن إلى غوفمان. تر: صابر الحباشة، ط1، سوريا : دار الحوار للنشر والتوزيع، 2007، ص 18.

[4] عبد الهادي، بن ظافر الشهري. استراتيجيات الخطاب. مقاربة لغوية تداولية، ط1، بيروت : دار الكتاب الجديد المتحدّة، 2004، ص 22.

الحين قبولا من لدُن الدارسين الذين أخذوا يدرجونه في أبحاثهم»[1]، ومن هذا المنطلق يعرف " طه عبد الرحمان" التداولية في قوله: « التداول عندنا متى تعلق بالممارسة التراثية، هو وصف لكلّ ما كان مظهرا من مظاهر التواصل والتفاعل بين صانعي التراث من عامة النّاس وخاصتهم»[2].

أما "محمود أحمد نحلة" فقد ربطها (التداولية) بالسامع فعدّها: «فرعا من علم اللغة يبحث في كيفية اكتشاف السامع مقاصد المتكلّم، أو هو دراسة معنى المتكلم، فمثلا: (أنا عطشان) قد يعني: أحضر لي كوبا من الماء، وليس من الضرورّي أن يكون إخبار بأنه عطشان.»[3] ، وقد عرّفها "صلاح فضل" على أنّها (التداولية): « الفرع العلمّيُ المتكوّنُ من مجموعة العلوم اللغوية التي تختص بتحليل عمليات الكلام بصفة خاصة، ووظائف الأقوال اللغوية وخصائصها خلال إجراءات التواصل بشكل عام.»[4]

المطلب الثاني: نشأة التداولية.

1- التداولية عند الغرب:

لقد تباينت الآراء حول نشأة التداولية، « فمن المفيد أن نذكر بأنّ نشأتها توافقت تقريبا مع نشأة العلوم المعرفية (علم النفس، اللسانيات، فلسفة العقل، السيمياء، المنطق، علم الاجتماع وعلم الاتصال...)» [5]

وينظر إلى التداولية على أنّها « مبحث لساني جديد لكن البحث فيها يمكن أن يؤرّخ له منذ القدم»[6]. فلقد بدأت على يد "سقراط" ثمّ تبعه " أرسطو " والرواقيون من بعده، بيد أنّها لم تظهر إلى

[1] طه، عبد الرحمان. في أصول الحوار وتجديد علم الكلام. ط 1، الدار البيضاء- المغرب : المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، 2000، ص 27.
[2] طه، عبد الرحمان. تجديد المنهج في تقويم التراث. ط2، بيروت : المركز الثقافي العربي، 2005، ص 244.
[3] محمود، أحمد نحلة. أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر. د ط، الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية للنشر والتوزيع، 2002، ص ص 12-13.
[4] صلاح، فضل. بلاغة الخطاب وعلم النّص. د ط، الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1978، ص 20.
[5] آن، روبول وجاك موشلار. التداولية اليوم: علم جديد في التواصل. تر: سيف الذين دغفوس. ط 1، بيروت-لبنان : دار الطليعة للطباعة والنشر، 2003، ص 27.
[6] بشرى، البستاني. التداولية في البحث اللغوي والنقدي. ط 1، لندن : مؤسسة السياب للطباعة والنشر، 2013، ص 34.

إلى الوجود باعتبارها نظرية للفلسفة إلّا على يّد "باركلي"، «تغذيها طائفة من العلوم (الفلسفة، اللسانيات، الأنثربولوجيا....) »[1]

«وتعدّ فلسفة اللغة أكثر تأثيرا في التداولية من العلوم الأخرى»[2]، «فقد ظهرت هذه الأخيرة نتيجة أبحاث فلسفة اللغة والمنطق الرمزي، التي قدمّها أقطاب مدرسة فيينا: " فريج " (G . Frege) و " كارناب" (R.carnap) وروسل (B.Russel) و فيتجينشتاين (L. wittgenstein) وغيرهم»[3] «حول الدلالة والعلاقات الكلامية والمعنى والمرجع والسياق، وصارت هذه الأبحاث أرضية خصبة لانطلاق نظريات لسانية تداولية (pragmatique)، تفاعلت مع مفاهيم " بيرس "، وطورّها " تشارل موريس " (ch. Marris)، فظهرت معالم المنهج التداولي العام للعلامات».[4]

وفيما يلي عرض لمسار نشأة التداولية عند الغرب، ويعود هذا إلى عاملين رئيسين:

العامل الأول: السيمياء البراغماتية.

« السيمياء البراجماتية أرساها الفيلسوف "**تشارلز ساندرس بيرس** "(*)، وقد طورّها تلميذه "موريس"».[5]

أ/ تشارلز ساندرس بيرس: «يعتبر هذا الفيلسوف الأمريكي والسميائي من الأوائل الذين أحدثوا تطورا في المجال اللساني والفلسفي. حيث " ارتبطت عنده التداولية بالمنطق ثمّ بالسيموطيقا"»[6].« وقد وقد ترك أعمالا تدل على سعة عمله وانشغاله بالفلسفة والمنطق والرياضيات. تناول مصطلح

[1] نعمان، بوقرة. الخطاب الأدبي ورهانات التأويل قراءات نصية تداولية حجاجية. ط1، الأردن: عالم الكتب الحديث للنشر، 2012، ص 70.

[2] محمود، عكاشة. النظرية البراغماتية اللسانية (التداولية): دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ. ط1، القاهرة: مكتبة الآداب للنشر والتوزيع، 2012، ص 12.

[3] محمد، يونس علي. مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب. ط1، بيروت : دار الكتاب الجديد، 2004، ص 13.

[4] مرجع سابق: محمود، عكاشة. ص 12.

(*) فيلسوف أمريكي (1839-1914). أول من استعمل مصطلح البرجماتية في علم اللسان. ويعّد من الأوائل الذين اهتموا بدراسة العلامة، وقد ترك أعمالا كثيرة ترتبط بالفلسفة والمنطق والرياضيات. من أبرز أعماله: كتابه " وصف نظام الإشارات (1870)، كتاب "فلسفة الإشارات" (1884)، وله محاضرات ومقالات في المعرفة البرجماتية منها: مقاله المعنون (أسئلة متعلقة بملكات الإنسان (1868) ثم نشر مقاليه: (تثبيت الاعتقاد) وكيف نوضح أفكارنا. وقد أعلن فيهما مذهبه المعرفي البرجماتي وللإطلاع أكثر أرجع إلى كتاب النظرية البرجماتية اللسانية لمحمود عكاشة،ص 27.

[5] مرجع نفسه. ص 27.

[6] نعمان، بوقرة. المدارس اللسانية المعاصرة. د ط، القاهرة: مكتبة الآداب، 2004، ص 198.

البرجماتية في مقاله " تثبيت الاعتقاد " المنشور عام 1878، قال في سياق تقديم الوجدان على العقل: إذا كانت المعرفة حسب النظرة البرجماتية مستحيلة إذن كيف للإنسان أن يعمل؟

لقد ركزّ " بيرس " على الوظيفة المنطقية للإشارة خلاف " دي سوسير " الذي ركزّ على الوظيفة الاجتماعية. وتعّد الوظيفة المنطقية جوهر الفلسفة التحليلية، وأشار إلى ذلك في كتبه أهمها: " وصف نظام الإشارة " (1870) وكتاب: " فلسفة الإشارات " (1884)»[1].

تأثر هذا الأخير " بكانط " في الربط بين اللغة والواقع حيث رأى أنّ النظام السيميائي عبارة عن مثلث تمثل الإشارة فيه الضلع الأول، وهو الذي له صلة حقيقية بالموضوع الذي يمثل الضلع الثاني المحدد للمعنى الذي يمثّل الضلع الثالث، فالمعنى عنده إشارة تعود إلى موضوعها الذي أنتج المعنى.[2] ومن ثمّ فإن سيميائية بيرس بعيدة من أن تكون مجرّد درس تجريبي، فأسسها تأملية وفلسفية.[3]

فيما سبق تناولنا أهمّ الأعمال التي قدمّها "بيرس" في المجال اللساني الفلسفي. وفيما يلي عرض لأهمّ ما أسهم به في نشأة الدرس التداولي: [4]

* التمييز بين التعبير، بعده نمطا، وبين ما يقابله أثناء الاستعمال.

* التمييز بين كلّ من العلامة، الرمز، الإشارة، والأيقونة.

* قدمّ شروحا وافية في مفهوم الدليل، الذي يقوم على مبدأ التأويل عنده، ويتنوع بحسب علاقته بموضوعه.

* عرّف الأيقونة على أساس تطابق الموضوع صوريا، أما الأمارة (المؤشّر) فهي تقوم على علاقة العلّة بالمعلول.

---

[1] مرجع سابق: محمود ،عكاشة. ص 28.

[2] مرجع سابق: محمود،عكاشة. ص 28.

[3] فرانسواز، أرمينكو. المقاربة التداولية. تر: سعيد علوّش، د ط، الرباط: دار الإنماء القومي، 1986، ص 15.

[4] خليفة، بوجادي. في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم. ط1، الجزائر: بيت الحكمة للنشر والتوزيع، 2009، ص ص 55-56.

* من خلال حديثه عن التأويل، استخلص الدارسون ما يرتبط بمفهوم التداولية عنده؛ حيث ميّز بين الدلالة بعدّها دراسة المؤولات، وبين التداولية التي تهتّم بدراسة بقايا هذه المؤوّلات.

إنّ كلّ إسهامات " بيرس " الجادة وما جاءت به من أفكار ساعدت كلّ من جاء بعده من العلماء الذين أثروا الدراسات حول التداولية. وهو يعتبر المنطلق الأول لنشأة التداولية.

ب/ تشارلز وليام موريس:«تأثر "موريس" (*) بأستاذه "بيرس"»[1]،«حيث واصل البحث السيميائي، وحقق فيه نتائج جعلته إمامه»[2]، وطورّ البرجماتية اللسانية. وعدّ مؤسسها الحقيقي. وقد ظهرت التداولية عنده، في تقسيمه علم الرموز إلى ثلاث فروع:[3]

الأول: علم التركيب (دراسة العلاقة الشكلية بين تركيب الجملة).

الثاني: علم الدلالة (دراسة علاقة الرموز بالأشياء التي تشير إليها).

الثالث: التداولية (دراسة علاقة الرموز بمفسري هذه الرموز أو علاقة العلامات بمفسريها).

« لم يكتف موريس بدراسة البنية اللغوية دراسة وصفية، بل أضاف إليها دراسة المعنى ودراسة علاقة اللغة بمستخدميها، وخصّ بهذا الجانب البرجماتية اللسانية، وطرح أول تعريف لها: دراسة علاقة (اللغة بمستخدميها) العلامات بمستعمليها؛ أي: دراسة اللغة أثناء ممارسة إحدى وظائفها الإنجازية والحوارية والتواصلية، وقد عدّها جزءا من السيمياء»[4].

(*) فيلسوف أمريكي سيميائي (1901-1979). أسهم في تأسيس الدرس السيمائي إلى جانب أستاذه "بيرس"، عالم إشارات ولد بضنفر بولاية كولورادو. درس في جامعة شيكاغو، حصل على شهادة دكتوراه في الفلسفة (1925) ، ثم عين أستاذا في جامعة شيكاغو (1948)، ومن تم أستاذا باحثا في جامعة فلوريدا. رئيسا في القسم الغربي من الجمعية الفلسفية الأمريكية. (للإطلاع أكثر: ارجع إلى الموسوعة العربية، المجلد 19).

[1] إلفي، بولان. المقاربة التداولية للآداب. تر: محمد تنفو و ليلى أحمياني، ط1، القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع، 2018، ص 19.

[2] مرجع سابق: محمود،عكاشة. ص 29.

[3] محمود، أحمد نحلة. أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر. د ط، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية للنشر والتوزيع، 2002، ص 09.

[4] مرجع سابق :محمود، عكاشة. ص 30.

لم يكتف " موريس " بإسهامات " بيرس " وإنّما طوّر أبحاثه وصارت أرضية خصبة لانطلاق نظريات لسانية تداولية تداولية. ومن أهمّ الأعمال التي قام بها في نشأة وتطور الدرس اللساني (البرجماتي) ما يلي:

* يرى موريس أنّه «إذا نُظر إلى اللغة من الوجهة اللسانية التداولية؛ فإنّها تصبح نظاما في السلوك، وبهذا وجد " موريس " نفسه في عمق التأويلات البرجماتية، حيث تصبح دراسة الأنظمة الرمزية ذات علاقة مباشرة بمستخدميها»[1].

* يرى " موريس " «أنّ التداولية لا تدرس اللغة المنطوقة وحدها. بل تدرس أيضا العلاقة بين الرموز أو العلاقات المستخدمة وما تشير إليه»[2].

* يرى " موريس " أن علم الدلالة السيمانطيقية هو علم دراسة اللغة في جميع نواحيها التكوينية. كما أنّه خلص إلى تعريف تداوليّ للّغة : « بأنّها نشاط تواصلي أساسا ذو طبيعة اجتماعية. »[3]

* جعل " موريس " التداولية جزءا من السيميائية، تعالج العلاقة بين العلامات ومستخدميها، وهو ما جعل مفهوم العلامة تتجاوز مجالها اللساني إلى المجال السيميائي، ومجالها الإنساني إلى مجالات أخرى.

* «قام بدراسات تجريبية واسعة عن العلاقات القائمة بين أنماط فلسفية وبين أصناف إنسانية».[4]

وخلاصة القول أنّ تصور " موريس " في التداولية لا يبتعد كثيرا عن تصور أستاذه " بيرس "، فلقد كان ما قدمّه " موريس " محفزا للنهوض بمجموعة من الدراسات تدور حول أنظمة العلامات بشكل عام وداخل اللغة بشكل خاص.

[1] عبد الله، جاد الكريم. التداولية في الدراسات النحوية. ط 1، القاهرة: مكتبة الآداب، 2014، ص 77.
[2] ينظر: مرجع سابق: محمود، عكاشة. ص 31.
[3] مرجع سابق: عبد الله، جاد الكريم. ص 78.
[4] مرجع سابق: عبد الله، جاد الكريم. ص 78

ومما رأينا سابقا أنّ تقسيم " بيرس " لعلم الدلالة يقتصر على العناصر التي تبقيه في مجال اللغة، حيث تنقسم الدلالات عنده إلى: دلالة عقلية ودلالة وصفية، تتجسد الأولى حين يجد العقل ذاتية بين الدال والمدلول كدلالة (الحمرة على الخجل)، أما الثانية فتتجسد حين يكون الدال والمدلول الوضع (كدلالة اللفظ على المعنى)، إلى أنّ "موريس" طورّ هذه المعطيات محوّلا علم العلاقات من العموم إلى الخصوص.

وبهذا يكون "تشارلز وليام موريس" قد طورّ ما جاء به "بيرس "، وأسهم في نشأة التداولية.

إنّ التمعّن في التعريفات السابقة يوصلنا لا محالة إلى أنّ التداولية تعني : دراسة اللغة في الاستعمال؛ وهذا يدلّ على وجود متكلّم ومستمع وقناة تواصل وهي مكونات سياق الكلام.

* إن التداولية من منظور " طه عبد الرحمان " تعني التواصل والتفاعل.

* التداولية دراسة كلّ مظاهر المعنى، وبهذا تدرس اللغة من خلال استعمالها ضمن سياق معيّن. وتهتّم بالمخاطبين ومقاصدهم والسياق الذي ترد فيه مع مراعاة المقام.

ومن الواضح أنّ المعنى الاصطلاحي للتداولية يرتبط بفكرة الاستعمال، التي وردت في التعريفات السابقة بتعبير أو بآخر، فالتداولية هي التي تَدْرسُ استعمال اللغة في السياق. فمثلا الجملة الواحدة يمكن أن تعبِّر عن معانٍ مختلفة من سياق إلى سياق آخر.

العامل الثاني: ظهور تيار الفلسفة التحليلية.

الفلسفة التحليلية (*) ظهرت بزعامة " **جوتلوب فريجة** " (1848-1925).« سيطر هذا الفيلسوف الألماني على هذا الإتجاه من خلال التحليلات اللغوية التي أجراها على العبارات اللغوية وعلى القضايا المنطقية»[1]، وقد نشأ في كنف الفلسفة التحليلية " السيمياء المنطقية ".

(*): نشأت الفلسفة التحليلية في العقد الثاني العشرين في فيينا بالنمسا على يدّ الفيلسوف الألماني " غوتلوب فريجه" للإستزادة: ينظر كتاب: التداولية عند العرب، مسعود صحراوي. ص 18.

[1] نعمة، دهش فرحان الطائي: مقاربات سوسيو لسانية، د ط، عمان: الدار المنهجية للنشر والتوزيع، 2015، ص 356.

وقد أثرّت فلسفة " فريجه " التحليلية في بعض الفلاسفة منهم: " فيتجنشتاين " ، " أوستن " ، " جون سيرل "، " هوسرل " وغيرهم[1]...

سنفصل في أهّم الأعمال التي قدمها هؤلاء الفلاسفة للتداولية فيما يلي:

أ/ **فيتجنشتاين**(*):

يعدّ من الفلاسفة الإنجليز الأوائل الذين نظروا في الجانب الاستعمالي للغة، وقد اقتفى هذا الفيلسوف أثر " فريجه " ، فانتقد مبادئ الوضعانية المنطقية، وأسس اتجاها فلسفيا جديدا سمّاه: " فلسفة اللغة العادية " ، قائمة أساسا على الحديث عن طبيعة اللغة وطبيعة المعنى في كلام الرجل العادي[2].

من أهم الإسهامات التي جاء بها هي:

* كشف مفهوم " التلّاعب بالكلام "، والذي أصبح فيما بعد أحد دعائم ظهور التداولية. ذلك لأنّه مرتبط بالمعنى الفعلي الذي منحه للملفوظات. وهذا تحدث عنه في كتابه " بحث في الفلسفة والمنطق (1921) حُظِيَ بالتقدير بفضل أفكاره. فقد عمل في المقام الأول في أسس المنطق والفلسفة والرياضيات[3].

* تعتمد الفلسفة عند " فيتجنشتاين " على ثلاث مفاهيم أساسية هي الدلالة، القاعدة، ألعاب اللغة[4].

أ/ **الدلالة:** وقد فرّق بين الجملة والقول وجعل الجملة أقل اتساعا من القول.

---

[1] مسعود، صحراوي. التداولية عند العلماء العرب. ط 1، بيروت– لبنان: دار الطليعة للطباعة والنشر، 2005، ص 21.

(*) ولد في (26 أفريل 1889) وتوفي عام (1951) . فيلسوف نمساوي، ولد في فيينا بالنمسا، درس بجامعة كمبردج وعمل بالتدريس. ولقد كان لأفكاره أثرا كبيرا على الوضعانية المنطقية وفلسفة التحليل. استقال من منصبه هذا الأخير في كمبردج عام 1947.

[2] مرجع سابق: فيليب، بلانشيه. ص 30.

[3] مرجع سابق: عبد الله، جاد الكريم. ص 73.

[4] محمود، أحمد نحلة. أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر. د ط، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية للنشر والتوزيع، 2002، ص 43.

ب/القاعدة: تسمح بتنويع النشاط اللغوي، وهي القاعدة النحوية الصحيحة في الترتيب والاستعمال.

ج/ الألعاب اللغوية: حسب " فيتجنشتاين " اللغة ليس حسابا منطقيا، بل كلّ لفظة لها معنى معيّن، ولكلّ جملة معنى في سياق محدّد. فالكلمة والجملة تكسب معناها من خلال استخداماتها.

* الجديد الذي جاء به هذا الفيلسوف– في نطاق البحث اللغوي– هو رؤيته الدلالية، خصوصا تمييزه بين اسم العلم والاسم المحمول.

* تمييزه بين المعنى والمرجع، محدثا قطيعة معرفية ومنهجية بين الفلسفتين القديمة والحديثة[1].

* ربط بين مفهومين تداوليين هامين هما: الإحالة والاقتضاء[2].

* ميّز بين المعنى المحصّل الذي يرتبط بالكلام وبين المعنى المقدر الذي يرتبط بالجملة، وذهب إلى أنّ المعنى ليس ثابتا ولا محدّدا، ودعا إلى تفادي البحث في المعنى المنطقي الصارم[3].

مما سبق نخلص إلى أنّ هذا الفيلسوف ساهم مساهمة فعالة في مجال التداولية حيث جعل الاستعمال هو الذي يَبثُّ الحياة والحركة في اللغة، وجعل التواصل هدفا.

يعدّ الفيلسوف " فيجنشتاين " من أهمّ فلاسفة النصف الأول من القرن العشرين، فقد كان فكره متأثرا بالفلسفة والمنطق. حاول هذا الأخير الإسهام في حقل اللغة وإيجاد لغة مثالية تتطابق والفكر الفلسفي، لكن سرعان ما عدل عن ذلك واتجه إلى دراسة اللغة العادية وبهذا يكون قد نحا منحى مغايرا لسابقيه في مجال التداولية أسماه: فلسفة اللغة العادية.

فبالرغم من الجهود الفلسفية في مجال اللغة عموما والتداولية خاصة إلا أنّ البحث في نشأتها لم يكتمل نضجه إلاّ بمجيء " جون أوستن " و " سيرل "

[1] محمود، فهمي زيدان. في فلسفة اللغة. د ط، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1985، ص 14.
[2] م ن. ص ن.
[3] مرجع سابق: مسعود، صحراوي. ص 20.

سنتطرق لأهم الأعمال والإسهامات الفلسفية اللغوية التي قدما كليهما على النحو الأتي:

ب/ جان أوستين:

يعّد " أوستين " (*) رائد التداولية في مرحلة النضج والاكتمال [1]، وذلك عندما ألقى محاضرته في جامعة " هارفارد " ضمن برنامج « محاضرات " وليام جيمس " » سنة 1955[2]. لكنّه آنذاك لم يكن يسعى إلى تأسيس اختصاص فرعي للسانيات. لأنّ هدفه كان تأسيس اختصاص فلسفي جديد هو: فلسفة اللغة. وهو الذي حللّ في –كتابه «كيف نصنع الأشياء بالكلمات» . " "How to do things with worlds

قواعد اللغة العادية، وقوة الملفوظات المنجزة من خلال أفعال الكلام[3].

* يميّز " أوستن " هذا الفيلسوف في البداية بين نوعين من الملفوظات:

" **الملفوظات التقريرية** " (Les énoncées constatifs)

و " **الملفوظات الإنجازية** " [4](Les énoncées pereformatifs)

(*)– فيلسوف إنجليزي، ولد في مدينة لانكاستر (1911). وتوفي في أكسفورد (1960)، وهو أحد ممثلي فلسفة اللغة، والفلسفة التحليلية، تخرج من جامعة أكسفورد متخصصا في الآداب اليونانية والرومانية. وشغل فيها كرسي الفلسفة الأخلاقية، لم تنشر " لأوستين " مؤلفاته في حياته ما عدا بعض المقالات والمحاضرات التي ألقاها أمام جمعيات أو في مؤتمرات علمية، اعتمدت الأوراق التي خلفها فيما نشر له بعد وفاته من كتب وأهمها: « أوراق فلسفية » (1961)، «الحس والمحسوسات» (1962)، «كيف نصنع الأشياء بالكلمات» (1962). وللاستزادة أرجع كتاب: التداولية في الدراسات النحوية. لعبد الله جاد الكريم. ص 84.

[1] محمد، مهران رشوان. مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة. ط 2، القاهرة: دار الثقافة، 1984، ص 199.

[2] أن ، روبول وجاك موشلار. التداولية اليوم: علم جديد في التواصل. تر: سيف الدين دغفوس. ط1، بيروت– لبنان: دار الطليعة للطباعة والنشر، 2003، ص 28.

[3] إلفي، بولان. المقاربة التداولية للأدب. تر: محمد تنفو وليلى أحمياني، ط1، القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع، 2018، ص 43.

[4] م ن. ص ن.

فالملفوظات التقريرية الثابتة (constatifs) والتي تمثّل حالات أشياء، وهي قابلة لأن تكون صحيحة أو خاطئة، والملفوظات الإنجازية (performatifs) وترتبط بشروط تحقيقها، التي تحملها حال النطق بها[1].

*حاول " أوستن ضبط قائمة الأفعال التي لا يمكن أن نجادل في سماتها الإنشائية من زاوية نظر دلالية. ويقر بأنّ كلّ قول عبارة عن فعل[2]، حيث « يحصي هذا الفيلسوف خمسة أصناف من الأفعال ويقدمها كقاعدة للنقاش وتأتي على الشكل التالي:

1- الحكمية 2- التمرسية 3- التكليف 4- العرضية 5- السلوكيات »[3]

* لقد « بدا أثر " فيتجنشتاين " على " أوستن " واضحا في كتابه: عندما يكون "القول هو الفعل"[4] كما تصدى " أوستن " لأفكار " فيتجنشتاين " ونقدها وأنكر أن تكون الوظيفة الأساسية للغة هي الإخبار وقد أشار إلى هذه المسألة بعض الباحثين من خلال قول أحدهم: « قد أنكر " أوستن " أن تكون الوظيفة الوحيدة للعبارات الإخبارية هي وصف حال الوقائع وصفا إمّا يكون صادقا أو كاذبا وأطلق عليه المغالطة الوصفية»[5].

من خلال ما سبق يتجلى مسعى " أوستن " في مجال اللسانيات التداولية في نقطتين اثنتين:

* **النقطة الأولى:** رفضه لثنائية الصدق والكذب.

* **النقطة الثانية:** إقراره بأنّ كلّ قول énonce عبارة عن عمل[6].

[1] مرجع سابق: خليفة، بوجادي. ص ص 53-54.

[2] فيليب، بلانشيه. التداولية من أوستن إلى غوفمان. تر: صابر الحباشة، ط1، سوريا: دار الحوار للنشر والتوزيع، 2007، ص58.

[3] نواري، سعودي أبو زيد. في تداولية الخطاب الأدبي: المبادئ والإجراء. ط1، الجزائر: بيت الحكمة للنشر والتوزيع، 2009، ص 28.

[4] مرجع سابق: مسعود، صحراوي. ص 24.

[5] جيلالي، دلاش. مدخل إلى اللسانيات التداولية لطلبة معاهد اللغة العربية وآدابها. تر: محمد يحياتن، د ط، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1983، ص 22.

[6] مرجع سابق: جيلالي، دلاش، ص22.

فبالنسبة للنقطة الأولى قد تمّ التطرق إليها فيما سبق، أمّا فيما يخص النقطة الثانية فلقد ميّز " أوستن " ثلاث مراحل لتحديد (معنى القول يعني الفعل): حيث فصّل في البداية بين مدلولي القول والفعل. حيث أورد فصلا في هذا الموضوع قائما على أنّ الكلام يناقض الحدث، وبذلك توصّل إلى أنّ القول والفعل متضادين[1]، أمّا فيما يخصّ المرحلة الثانية: فقد جعل ترادفا نسبيا بينهما (القول والفعل) في حالة القول الملفوظ حيث يصبح مرادفا للفعل. وتطور هذا الترادف النسبي إلى ترادف تام في أخر مرحلة[2]، حيث تمّ تعميم الفرضية بمفهوم تداولي، وعّد كل قول فعل[3].

ج/ جون سيرل:

بعد استفادة " سيرل " (*) من دروس أستاذه " أوستن " إقترح هذا الفيلسوف بعض التعديلات وطوّر نظرية أفعال الكلام[4]، وقد أشار العديد من الباحثين إلى جهود " سيرل " من خلال خلال قولهم: « ...حتى أن جاء " سيرل " فأحكم وضع الأسس المنهجية التي تقوم عليها. وكان ما قدمّه عن الفعل الإنجازي والقوة الإنجازية كافيا لجعل الباحثين يتحدثون عن نظرية سيرل في الأفعال الكلامية بوصفها مرحلة مكملة لمرحلة " أوستن " »[5] .

من أشهر أعمال هذا الفيلسوف الأمريكي المعاصر[6] نحصر ما يلي:

* أفعال الكلام. التعبير والمعنى. القصدية .العقول والأدمغة والعلم . إعادة اكتشاف العقل، وبناء الواقع الاجتماعي، ولغز الشعور[7].

---

[1] ينظر : مرجع سابق: خليفة، بوجادي. ص 54.

[2] ينظر : م ن . ص ن.

[3] أوستين. نظرية أفعال الكلام العامة: كيف ننجز الأشياء بالكلام. تر: عبد القادر قينيني. د ط، إفريقيا الشرق للطباعة والنشر، 1991، ص 128.

(*): فيلسوف أمريكي معاصر، متخصص في فلسفة اللغة وفلسفة الذهن. ولد " سيرل " في دنفر بولاية كلورادو (1932م) ودرس الفلسفة في أكسفورد. صار أستاذ الفلسفة اللغة بجامعة بيركلي (1959). أسهم في إغناء نظرية أفعال اللغة وأفعال الكلام التي أسسها " جون أوستن " ، حيث يعد كتاب سورل " أفعال اللغة" (1969) أحد أهم المصادر في نظرية الخطاب المعاصرة.

[4] جيلالي، دلاش. مدخل إلى اللسانيات التداولية. تر: محمد يحياتن، د ط، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1983، ص 25.

[5] مرجع سابق: محمود، أحمد نحلة. ص 47.

[6] جون، سيرل. العقل واللغة والمجتمع. (الفلسفة في العالم الواقعي)، تر: سعيد الغانمي، ط1، بيروت: الدار العربية للعلوم، 2002، ص 05.

[7] نادية، رمضان النجآر. الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي. ط 1، جامعة حلوان، 2013، ص 28.

* جاء " جون سيرل " مكافيا لما قدمّه " أوستن "؛ أحكم وضع الأسس المنهجية التي تقوم عليها نظرية الأحداث الكلامية.

* ارتكزت إعادته للتصانيف على عدد من المعايير منها:

* نصّ " سيرل " على أنّ الفعل الإنجازي هو الوحدة الصغرى للاتصال اللغوي وأنّ القوة الإنجازية دليلا يسمى دليل القوة الإنجازية، يبيّن لنا نوع الفعل الإنجازي الذي يؤديه المتكلم بنطقه للجملة ويتمثل في نظام الجملة، والنبر، والتنغيم، وعلامات الترقيم.[1]

ومن بين جهود سيرل نجد أيضا:

« الفعل الكلامي عنده مرتبط بالعرف اللغوي والاجتماعي، وهو أوسع من أنّ يقتصر على مراد المتكلّم.»[2]

* قسم " سيرل " الأفعال الكلامية إلى: أفعال مباشرة وأفعال غير مباشرة "[3]، فالفعل المباشر عنده عبارة عن أقوال « تتوفر على تطابق تام بين معنى الجمل ومعنى القول »[4] أو تطابق معنى الجملة ومعنى قصد المتكلّم.

والفعل غير المباشر: « فيها ينتقل المعنى الحقيقي إلى معنى مجازي، وهي أفعال تحتاج إلى تأويل لإظهار قصدها الإنجازي كالاستعارة والكناية »[5]

* طور " سيرل " شروط الملاءمة وجعلها أربعة، وهي كالتالي:

- شرط المحتوى القضوي: وهو الذي يقتضي فعل في المستقبل يطلب من المخاطب.

[1] مرجع سابق: جيلالي، دلاش . ص 25.

[2] عبد الحكيم، سحالية، " التداولية امتداد شرعي للسيميائية " ، الملتقى الدولي الخامس للسمياء والنص الأدبي. المركز الجامعي. الطارف. د.ت. ص 428.

[3] مرجع سابق: جيلالي، دلاش. ص 29.

[4] مرجع سابق: محمود، أحمد نحلة. ص ص 49-50.

[5] مرجع سابق: جيلالي، دلاش. ص 29.

- الشرط التمهيدي: يتحقق هذا الشرط إذا كان المخاطب قادرا على إنجاز الفعل.

- شرط الإخلاص: ويتحقق حينما يكون المتكلم مخلصا في أداء الفعل فلا يقول غير ما يقصد.

- الشرط الأساسي: ويتحقق من خلال محاولة المتكلم التأثير في السامع للقيام بالفعل وإنجازه.[1]

وخلاصة القول حول نشأة التداولية، نرى أنّها تناسبت مع نشأة العلوم المعرفية، وبدأت إرهاصاتها الأولى على يد "سقراط" ثم تبعه "أرسطو" والرواقيون بعد ذلك، لكنها لم تظهر إلى الوجود كنظرية في الفلسفة إلاّ على يد "باركلي" هذا فيما يخصّ بداياتها الأولى عند القدامى.

أمّا في العصر الحديث فمرت التداولية بمرحلتين-أسهم في نشأتها وتطورها واكتمالها علماء غربيون كثيرون- نذكرهما كالتالي:

1- مرحلة الإرهاصات: كانت على يد فلاسفة سيميائيين من أمثال " شارل سندرس بيرس " و – " لودفيغ فيتنجشتاين " – " تشارلز موريس ".

2- مرحلة الاكتمال والنضج: في هذه المرحلة أكمل الفلاسفة التحليليين ما جاء به سابقيهم (مرحلة الإرهاصات)، وعملوا على تطوير مسار التداولية حتى أن بلغت ذروتها وأصبحت علما مستقلا بذاته ومن بينهم: " جون أوستن " و " جون سيرل ".

فبالوقوف على الخلفية الفكرية والثقافية والتي نشأ فيها البحث التداولي في المرحلة الأولى نجد أنّه ينطلق من الاهتمام بالتواصل والاستعمال الفعلي للغة، لأن ذلك يحدد بنيتها التركيبية بالإضافة إلى كون المتكلم هو الذي يبني كلامه وفق ظروف التواصل مع طبيعة المتلقي.

ومنه ما يمكن قوله هو أنّ التداولية نشأت في ظلّ هذه المكاسب المعرفية (اللسانية والفلسفية والبلاغية).

[1] مرجع سابق: عبد الحكيم، سحالية. ص 428.

أما في المرحلة الثانية: فإنّ البحث التداولي فيها جاء مكملا. وظهر فيه اتجاه جديد سمي بالفلسفة التحليلية.

حقا. فعلى أكتاف هؤلاء العلماء نشأت التداولية وتطورت واستوت على سوقها وخرجت في صورتها الكاملة. لكن رغم هذا الجهد المبذول –من قبل الفلاسفة التحليليين– إلاّ أنّه لا يمكن أن ننفي تلك المجهودات التي قدمها فلاسفة السيمياء البرجماتية، فالمرحلة الأولى بمثابة نقطة إقلاع ومرحلة تقعيد لتأسيس التداولية.

وبشكل عام، إذن: التداولية ظهرت كردّ فعل على الاتجاه التوليدي والبنيوي وهي تهتم بدراسة اللغة في الاستعمالي عكس الاتجاه التوليدي والبنيوي.

2– المنحى التداولي عند العرب:

سبق وأشرنا أنّ هذا العلم «التداولية» حديث النشأة، ظهرت أسسه ونظرياته عند الغرب، منبثقا من منابع فلسفية، لكن هذا لا يعني أنّه غير موجود في تراثنا العربي. فتجدر بنا الإشارة إلى الفكر العربي التداولي، فلو تأملنا التراث اللغوي العربي القديم لوجدنا تميزه بفكر تداولي، حيث أنّ جل مباحث التداولية الحديثة حاضرة في تراثنا ولو بمصطلحات مغايرة أحيانا أو غير منضبطة أحيانا أخرى وذلك منذ بداية الدرس اللغوي النحوي مع " سيبويه " إلى النقاد والبلاغيين المتأخرين...[1].

فالعرب هم السبّاقون في ممارسة المنهج التداولي قبل ظهوره كمنهج أمريكي وأوروبي، فجل مبادئ التداولية تجدها مبثوثة في الفكر العربي الأصيل.

[1] نواري، سعودي أبو زيد. في تداولية الخطاب الأدبي. المبادئ والإجراءات. ط1، العلمة. الجزائر: بيت الحكمة، 2009، ص ص 31–32.

وعن أسبقية العرب لمعرفة أصول هذا الاتجاه يقول " سويرتي ": « إن النحاة والفلاسفة المسلمين والبلاغيين والمفكرين مارسوا المنهج التداولي قبل أن يضيع صيته بصفته فلسفة وعلما. ورؤية واتجاها أمريكيا وأوروبيا، فقد وظف المنهج التداوليّ بوعي في تحليل الظواهر والعلاقات المتنوعة »[1]

يرى الكثير من الباحثين أنّ هنالك إرهاصات لعلم التداولية في أعمال الكثير من اللغويين العرب القدماء، فقد قسم العرب العبارات –ويشار إليها أحيانا بالجمل– إلى خبرية وإنشائية. وهو ما يقابل عند التداوليين الخبرية والإنجازية، ولكنّها ظهرت تحت مسميات مختلفة، فالعرب قد عرفوا التداولية بكل أبعادها. وكانت نظريتهم في هذا الإطار متكاملة. لكنّها متناثرة في كتب أصول الفقه وكتب علماء الكلام واللغويين[2].

إنّ المكتشفين الأوائل لها هم علماء الأصول، فقد اكتشفوا الإنجازات بأنواعها وفرقوها عن الأخبار. وقد كانوا مدركين للتداولية وعناصرها قبل " أوستن "، لكن الفرق كان في التسمية والأمثلة التي أخذوها من القرآن الكريم والحديث الشريف، في حين الغربيون أخذوها من الحياة اليومية.

هناك بعض نقاط التلاقي بين ما تناوله العلماء العرب القدامى، وبين ما يقترحه الوظيفيون المحدثون وفلاسفة اللغة العادية[3]:

- دراسة ظواهر الإحالة أو تحليل العبارات اللغوية حسب نوع إحالتها.
- الاهتمام بدراسة أفعال الكلام.
- دراسة مجالات الترابط بين البنية والوظيفة.
- الاهتمام بالسياق.
- توضيح التركيب.

[1] خليفة، بوجادي. في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية للدرس العربي القديم. ط1.سطيف –الجزائر:بيت الحكمة للنشر والتوزيع، 2009، ص 114.

[2] عبد الله، جاد الكريم. التداولية في الدراسات النحوية. ط1، القاهرة: مكتبة الآداب، 2014، ص 118.

[3] م ن. ص ن.

- الاهتمام بالتقديم والتأخير.
- تجويز الحذف والتقدير.

على الرغم من أنّ المنهج التداولي تنظير حديث لم يعرفه البحث اللغوي مستقلا ذا خطوط واضحة إلاّ في النصف الثاني من القرن العشرين. فإنّه في الواقع منهج قديم، استعمله اللغويون والنحاة العرب القدامى. فقد استخدم العرب القدامى مصطلحي: الحال ومقتضى الحال، وعرفّوا البلاغة. وهذه الدراسات التنظيرية الأولى ترجع إلى " الجاحظ " و" أبي هلال العسكري " ، " ابن قتيبة " و " حازم القرطاجني " وغيرهم. فالفضل يعود إلى العرب الأوائل في دقة المصطلحات التي وضعوها وكذلك في اختيار الشواهد من كلامهم[1].

ولا ننسى دور الدين الإسلامي الواضح في مجال التداولية خصوصا واللغة عامة، فقد كان للدين الإسلامي الفضل الكبير في ريادة العرب، فهو دين يحّث على العلاقات الاجتماعية بين المسلمين. ورسالته معجزة في حدّ ذاتها[2].

وفي هذا الصدد يقول " نعمان بوقرة " : « **ولمّا كانت العرب أمة دينية بطبعها، ولأنّ الرسالة الدينية نصيّة في شكلها فإنّها أسست لكيفية استثمار المقولات الدينية في الحياة الإنسانية، ثمّ وجهت بطريقة غير مباشرة الفكر للنظر في الكون والوجود بكلّ أبعاده النفسية والاجتماعية والحضارية والأدبية واللغوية** »[3].

لم يكن العرب تابعين للغرب في مجال الدراسات التداولية، وإنّما كان لهم مجال الريادة والسبق في هذا الميدان.

[1] محمد، محمود السيد أبو حسين. الدرس التداولي في ضوء علم اللغة الحديث. د ط، القاهرة: مكتبة دار الفكر العربي، 2010، ص 10.
[2] نعمان، بوقرة. مدخل إلى التحليل اللساني للخطاب الشعري. د ط، الأردن: عالم الكتب الحديث، 2008، ص 19.
[3] م ن. ص ن.

المبحث الثاني: مباحث التداولية:

المطلب الأول: قضايا التداولية

1- أفعال الكلام:

نشأت فكرة أفعال الكلام من أهم مبدأ في الفلسفة اللغوية الحديثة، والذي يقوم على أن «الاستعمال اللغوي ليس إبراز منطوق لغوي، فقط بل إنجاز حدث اجتماعي معين في الوقت نفسه»[1]، تعد هذه الأخيرة الركيزة الأساسية التي قام عليها الاتجاه التداولي، وهي من أهم نظرياته.

وبالوقوف على مفهوم الفعل الكلامي نرجع إلى ما كتبه الباحث الجزائري "مسعود صحراوي" حيث قال: بالرجوع إلى ما كتبه الفيلسوفان "جون أوستن" وتلميذه "جون سيرل" حول هذا المفهوم اللساني التداولي الجديد، فإنّ الفعل الكلامي يعني: « التصرف أو العمل الاجتماعي أو المؤسساتي الذي ينجزه الإنسان بالكلام، ومن ثم فالفعل الكلامي يراد به: الإنجاز الذي يؤديه المتكلم بمجرد تلفظه بملفوظات معينة، من أمثلته: الأمر، النهي، الوعد، السؤال، التعزية والتهنئة...فهذه كلها أفعال كلامية »[2]

من هذا المنطلق يتبين أنّ الفعل الكلامي هو عبارة عن إنجاز ذو طابع اجتماعي يتحقق في الواقع بمجرّد التلفظ به.

فهو فعل يهدف إلى التأثير في المخاطب سواء اجتماعي أو مؤسساتي لأجل تحقيق التواصل.

يعد هذا المفهوم الأساس الذي انبنى عليه الاتجاه التداولي، وضعه الفيلسوف " **أوستن** " وطوره تلميذه " **جون سورل** ".

[1] مرجع سابق: خليفة، بوجادي. ص 89.

[2] مسعود، صحراوي . التداولية عند العلماء العرب. ط1، بيروت- لبنان: دار الطليعة للطباعة والنشر، 2005، ص 10.

أولا: أفعال الكلام عند أوستن.

لقد اتجه اهتمام "جون أوستن" إلى الفعل الكلامي الذي حدّه بقوله: « أمّا الفعل الكلامي فهو النطق ببعض الألفاظ أو الكلمات أي إحداث أصوات على أنحاء مخصوصة، متصلة على نحو ما بمعجم معيّن، مرتبطة به، ومتماشية معه، وخاضعة لنظامه »[1].

ومنه نلحظ أنّ الفعل الكلامي يتمثل في كلّ قول صادر عن متلفظ ما بغرض التأثير في المتلقي. وكذا هو التلفظ بالكلمات من حيث هي أصوات لغوية منتمية إلى معجم معين.

* ميّز " أوستن " بين نوعين من الأفعال الكلامية:

1- **أفعال إخبارية تقريرية (وصفية):** يمكن أن نحكم عليها بالصدق أو الكذب.

2- **أفعال أدائية إنجازيه:** يمكن أن تكون موفقة أو غير موفقة، مثل: التسمية، الوصية، الاعتذار، الرهان، النصح، الوعد...الخ[2]، ولا توصف بصدق ولا كذب ولا تكون الأفعال الأدائية موفقة عنده إلاّ إذا تحققت لها شروط وهي: شروط الملاءمة (التكوينية) وشروط قياسية[3].

وفي سعي " أوستن " للإجابة عن هذا السؤال: "كيف ننجز فعلا حين ننطق قولا؟ "

*رأى أنّ الفعل الكلامي مركب من ثلاث أفعال وهي على النحو الآتي:[4]

أ/ **فعل القول:** يقابل التلفظ بالأصوات (فعل صوتي)، والتلفظ بالتراكيب (فعل تركيبي) واستعمال التراكيب حسب دلالاتها (فعل دلالي).

[1] جون لانكشو أوستين. نظرية أفعال الكلام العامة: كيف ننجز الأشياء بالكلام. تر: عبد القادر قينيني، د ط. الدار البيضاء: إفريقيا الشرق للطباعة والنشر، 1991، ص 124.

[2] نعمان، بوقرة. الخطاب الأدبي ورهانات التأويل. قراءات نصية، تداولية حجاجية. ط 1، الأردن: عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، 2012،ص 90.

[3] محمود، أحمد نحلة. آفاق جديدة في البحث اللغوي. د ط، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية للنشر والتوزيع، 2002، ص 44.

[4] مرجع سابق: خليفة ، بوجادي. ص 96.

ويطلق عليه بالفعل اللغوي ويراد به إطلاق الألفاظ في جمل مفيدة ذات بناء نحوي سليم وذات دلالة[1].

ب/ الفعل الإنجازي: وهي أفعال تقوم بفعل ما نقول مثلا: يعلن الرئيس " اِفْتُتِحَت الجلسة " وهي بالفعل مفتوحة[2]، وفي هذا القسم يضع " أوستن " بعض المقاييس التي يتحدّد وفقها الفعل الإنجازي ويمكن حصرها في النقاط الآتية:[3]

1- إن الفعل الإنجازي ينجز في الكلام ذاته، فهو إذن ليس نتيجة تنتظر من الكلام.

2- إن الفعل الإنجازي قابل للتفسير والتأويل بواسطة صيغة إنجازيه مناسبة له.

3- الفعل الإنجازي ذو طبيعة اصطلاحية تواضعية.

ج- الفعل ألتأثيري: يحصل حين يغمر الفعل الإنجازي من حال المتلقي بالتأثير عليه، كأن(يرعبه، يجعله ينفعل...).

*ويرى " أوستن " أنّه مع القيام بفعل القول، وما يصحبه من فعل متضمن في القول، قد يكون الفاعل (الشخص المتكلم)، قائما بفعل ثالث متسببا بذلك في إحياء أثار في المشاعر والفكر. ومن أمثلة تلك الآثار: الإيقاع، التضليل، الإرشاد...[4]

ويسميه " أوستن " **الفعل الناتج عن القول** وسماه البعض **الفعل التأثيري**.

*وقد قام " أوستن " بتقديم تصنيف للأفعال الكلامية على أساس ما أسماه " قوتها الإنجازية " فجعلها خمسة أصناف:[5]

[1] مرجع سابق: مسعود، صحراوي. ص 41.

[2] إلفي، بولان. المقاربة التداولية للأدب. تر: محمد تنفو وليلى أحمياني، ط1. القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع. 2018. ص 45.

[3] علي، أيت أوشان. السياق والنص الشعري: من البنية إلى القراءة. ط1. الدار البيضاء: دار الثقافة للنشر والتوزيع. 2000. ص 71.

[4] مرجع سابق: مسعود، صحراوي. ص 42.

[5] نواري، سعودي أبو زيد. في التداولية الخطاب الأدبي. المبادئ والإجراءات. ط1، العلمة. الجزائر: بيت الحكمة، 2009.ص 28.

1- الحكمية: مثل: يقدر، يبرئ، يشخص....

2-التمرسية: مثل: أمر، أقسم، أتمنى....

3-التكليف: مثل: أقسم، أتمنى....

4-العرضية: مثل: أنكر، أكد....

5-السلوكيات: مثل: شكر، هنأ....

مما سبق نخلص إلى أنّ " أوستن " في مراحل بحثه قد توصل إلى تقسيم الفعل الكلامي إلى ثلاثة أفعال فرعية:

الفرع الأول: يتمثل في فعل القول أو ما يعرف (بالفعل اللغوي)

الفرع الثاني: سماه الفعل المتضمن في القول وأطلق عليه كذلك بالفعل الإنجازي الحقيقي، والفرق بين الأول (فعل القول) والثاني (فعل المتضمن في القول) يكمن في كون أنّ الفعل (الإنجازي) عبارة عن القيام بفعل ضمن قول شيء ما، في حين أنّ الفعل (اللغوي) هو مجرد التلفظ أو قول شيء ما.

الفرع الثالث: فسماه الفعل الناتج عن القول وهذا الأخير يكون نتيجة تأثر أو انفعال، حيث يحدث المتلقي استجابة دليلا على أن القائل (الشخص المخاطب)، قد تمكن من إيصال رسالته أو من التأثير في المتلقي سواء عن طريق الإرشاد أو الإقناع أو التضليل...الخ.

ويسمى أيضا بالفعل (**التأثيري**) ويتميز هذا الأخير بكونه حدثا غير مضمون التحقق. أما الفعل الإنجازي فهو فعل اصطلاحي في حين أن الفعل التأثيري غير ذلك وهذا ما أقره " أوستن " من خلال تمييز بين الفعل الأول والثاني.

ونخلص الآن إلى شرح موجز يلخص الفروع الثلاثة لأفعال الكلام عند " أوستن ":[1]

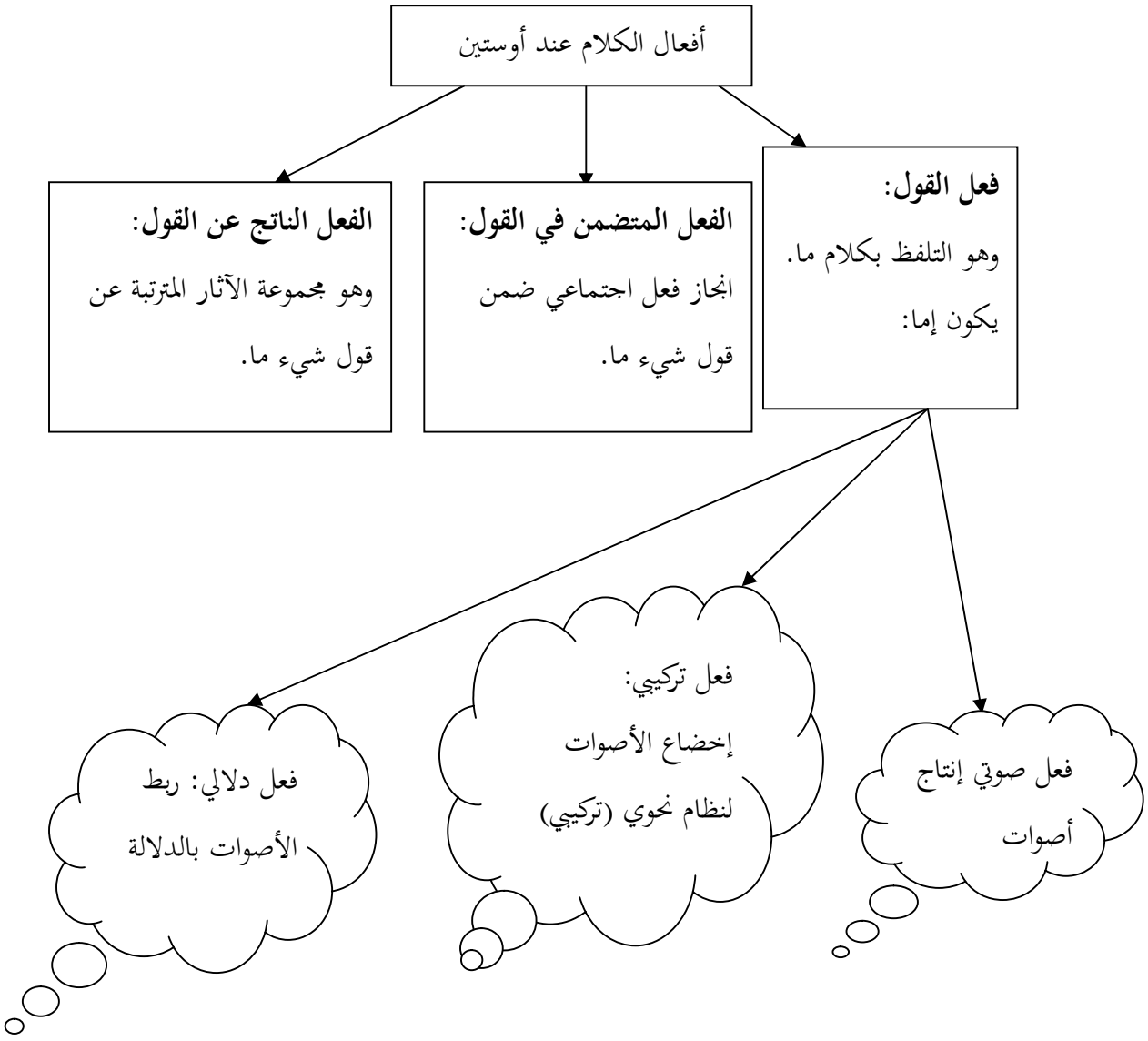

إنّ ما قدمه " أوستن " لم يكن كافيا في محاولة دراسة الأفعال الكلامية في إطار نظرية عامة، فلم يستطيع تحقيق ما سعى إليه إلاّ بمجيء " سيرل " وهذا يعود إلى تصوره للفعل الكلامي الذي كان غير قائم على أسس منهجية واضحة.

هذا ما جعل "أوستن" ينتقد في بعض المواضع التي سنذكرها فيما يلي:[2]

[1] ينظر: مرجع سابق: مسعود، صحراوي. ص 43.

[2] عبد الحق، صلاح إسماعيل. التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد. ط1، بيروت– لبنان: دار التنوير للطباعة والنشر، 1993، ص 223.

1- لم يقم تصنيف " أوستن " للأفعال الكلامية وفق معايير واضحة. فإنّ المتأمل في تصنيفه يجد نوعا من الخلط الذي يمكن أن يقع بين " **الأفعال الحكمية** " و " **الأفعال التمرسية** " فالحدود بينها لا تبدو واضحة، وبالتالي يمكن إدراج بعض أفعال التمريسات ضمن أفعال الحكميات والعكس صحيح.

2- ما يؤخذ على " أوستن" أيضا أنه يصنف الأفعال الإنجازية وإنّما قام بتصنيف أسماء هذه الأفعال. ومن هنا يتضح لنا أن " أوستن " يعتقد أنّ تصنيف أسماء هذه الأفعال الداخلية في القول هو تصنيف للفعل في حد ذاته، لكن الأمر مغاير فالفعل مثلا " يصرح " لا يدل بالضرورة على فعل (متضمن في القول) بل على الطريقة التي تنجز بها هذه الأفعال.

فعلى الرغم من النقائص الموجودة في بحث " أوستن " من خلال دراسته وتصنيفه لأفعال الكلام، إلا أنه لا يمكن إنكار تلك الحقيقة القائلة بأنّ " أوستن " أول من وضع أسس تقوم عليه هذه النظرية.

إلا أنّ التطور الفعلي لهذه النظرية جاء على يد " جون سورل " من خلال « ما قدمه عن الفعل الإنجازي والقوة الإنجازية- كما سنوضح ذلك في العنصر الموالي- يكفي لجعل نظرية " سورل " في الأفعال الكلامية مرحلة أساسية تالية لمرحلة الانطلاق عند " أوستن "»[1].

ثانيا: أفعال الكلام عند سيرل:

ميّز سورل بين ما أسماه الأفعال الإنجازية المباشرة والأفعال الإنجازية غير المباشرة، فالأفعال الإنجازية المباشرة عنده هي الأفعال التي تطابق قوتها الإنجازية المعنى الحرفي لقصدية المتكلم.

[1] مرجع سابق: محمود، أحمد نحلة. ص 47.

1- الفعل المباشر:

اعتمد " سورل " في تحديده لمفهوم الفعل الكلامي على مبدأ فلاسفة اللغة العادية (القول هو العمل)، والقول حسب وجهة نظره هو شكل من أشكال السلوك الاجتماعي، تضبطه قواعد، ويتم من خلاله إنجاز أربعة أفعال في الوقت نفسه هي:[1]

أ/ **فعل القول**

ب/ فعل الإسناد

ج/ فعل الإنشاء

د/ فعل التأثير

ففعل القول (أ) يتمثل في التلفظ بالكلمات أو الجمل. أمّا الفعل (ب) فعل الإسناد فيسمح بربط الصلة بين المتكلم والسامع، فمثلا عبارة (أنصحكم بمغادرة القاعة) تحيل على الأنا والأنتم. (إحالة) مع الإسناد وهو المتمثل في (مغادرة القاعة)، ففعل الإحالة وفعل الإسناد يشكلان القضية المعبر عنها والتي لا تعّد بعد بفعل كلام.

أمّا فيما يخصّ الفعل (ج) يتحقق الفعل الإنشائي؛ أي القصد المعّبر عنه في القول، فقد يكون القصد في هذا القول نصيحة أو تحذير أو إشعار أو أمر أو تهديد....الخ[2].

لا يهتّم " سيرل " إلاّ بالأفعال المتضمنة في القول. فقد أطلق على نظريته (أفعال الكلام) بنظرية **الأفعال الإنجازية**، ويتمثل إسهامه الرئيسي في:

*التمييز بين ما يتصل في الفعل المتضمن في القول في حدّ ذاته ما يسميه " **واسم القوة المتضمنة في القول** " وما يتصل بمضمون الفعل ما يسميه " **واسم المحتوى القضوي** " داخل الجملة[3].

مثلا: ففي هذه الجملة (أَعَدِكُ بِأنْ أَحْضُرَ غدًا)، فإنّ: (أعَدك): هو واسم القوة المتضمنة في

[1] جيلالي، دلاش. مدخل إلى اللسانيات التداولية. تر: محمد يحياتن. د ط، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1983، ص 25.

[2] ينظر.مرجع سابق: جيلالي، دلاش. ص 26

[3] آن روبول وجاك موشلار. التداولية اليوم: علم جديد في التواصل. تر: سيف الدين دغفوس. ط1، بيروت-لبنان: دار الطليعة للطباعة والنشر، 2003، ص 33.

القول وهو (الوعد) و (أحضر غدا): هو واسم المحتوى القضوي. وهو (الفعل الحضور)[1].

2- الفعل غير المباشر

أمّا الأفعال غير المباشرة: فيقصد بها الأفعال التي تخالف القوة الإنجازية (المعنى المراد إيصاله من طرف المتكلم إلى السامع أو المتلقي)،

*عمل " سيرل " على إضافة الفعل القضوي في الصيغة التركيبية للفعل اللغوي تداركا للالتباس للخلط الحاصل بين الفعل الدلالي والفعل الإنجازي، تجاوزا لهذا اللبس أعاد "سيرل" تقسيم الأفعال الكلامية لشمل أربعة أفعال وهي على النحو الآتي:[2]

أ- **الفعل التلفظي**: ويقصد به إنتاج متوالية لغوية مع مراعاة القواعد الفونولوجية والتركيبية للغة المتكلمّ. وقد اختزل هذا الفيلسوف الفعلين الفرعيين ضمن فعل القول في تصور " أوستن " وهما الفعلين (الفعل الصوتي والفعل التركيبي)[3]؛ وبعبارة أخرى نلحظ أنّ " سيرل " قد خالف منهج " أوستن " في تقسيمه للأفعال الكلامية.

ب- **الفعل القضوي**: ويقصد به إسناد الكلمات مع إحالتها على مراجعها وهو الفعل الدلالي في تصور " أوستن " والفعل الحملي الناتج عن العلاقة الإسنادية[4]، ولإيضاح ذلك نذكر الجمل الآتية:

- يقرأ زيد الكتاب
- يا زيد اقرأ الكتاب
- أيقرأ زيد الكتاب
- لو يقرأ زيد الكتاب

[1] ينظر: م ن. ص ن.

[2] حسن، بدوح. المحاورة: مقاربة تداولية. ط 1، الأردن: عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، 2012،ص ص 170-171.

[3] ينظر: م ن . ص ن

[4] المرجع نفسه. ص 172.

فمحور الحديث (المرجع) في هذه الجمل الأربعة هو: **زيد** والخبر المخبر عنه والمراد إيصاله إلى المتلقي هو: **قراءة الكتاب**، والمرجع والخبر يمثلان معا قضية هي: **قراءة زيد الكتاب** وهي المحتوى المشترك[1].

ج– الفعل الإنجازي: وهو أن تحقق فعلا انجازيا كأن: تُخبر أو تعَد أو تستفهم. وقد تمت الإشارة إلى الفعل الإنجازي في الأمثلة السابقة المتمثلة في: الإخبار، التمني، الاستفهام، الأمر[2].

د– الفعل التأثيري: ويشير إلى الأثر الذي يحدثه الفعل الإنجازي على المتلقي[3]، سواء كان تأثيرا جسديا أم فكريا أم شعوريا.

مما سبق يمكن أن نحدد منهج " سيرل " في تقسيمه للأفعال الكلامية لم يختلف عن المنهج الأوستيني في الأفعال الكلامية. فكما يبدوا أنّ كلاهما اتفقا على الفعل الإنجازي والفعل التأثيري. لكن تجدر الإشارة إلى أنّ التصوّر " السورلي " لم يعر اهتماما للفعل التأثيري كون هذا الأخير ليس بالضرورة أن يكون مؤثرا في السامع حتى ينفعل ويثير ردّ فعل.

وفي الجدول أدناه تبسيط للبنية العامة للأفعال الكلامية عند "سيرل" موضحا أهّم الفروق والتصور " الأوستيني ":

[1] ينظر: مرجع سابق: محمود، أحمد نحلة. ص 72.

[2] مرجع سابق: حسن، بدوح. ص 171.

[3] محمود، أحمد نحلة. آفاق جديدة في البحث اللغوي. د ط، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعة للنشر والتوزيع، 2002، ص 72.

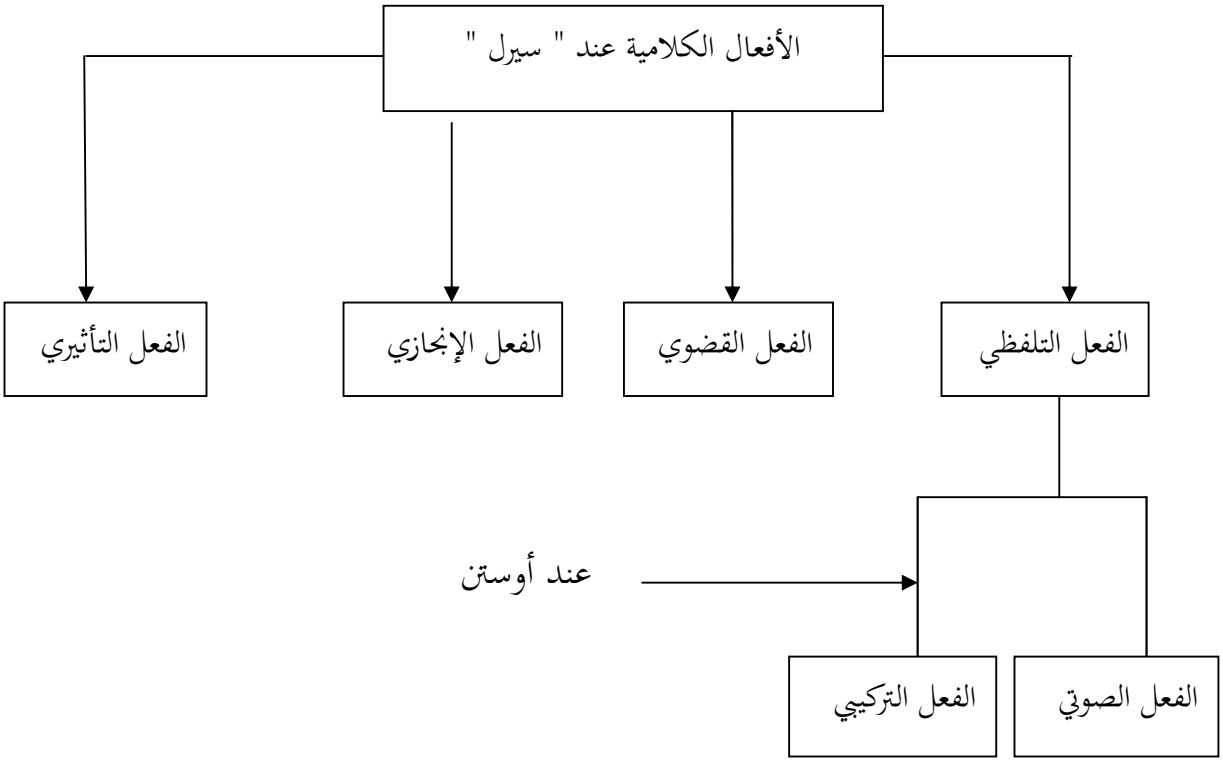

3- شروط نجاح الفعل الكلامي:

*استطاع " سيرل " أنّ يطوّر تصوّر " أوستن " لشروط الملاءمة التي إذا ما تحققت في الفعل الكلامي كان موفقا، وبمقتضاه يكلّل الفعل المتضمن في القول بالنجاح. ولهذا سميت شروط نجاح الفعل الكلامي، وجعلها أربعة نذكرها كالتالي:[1]

1- **شروط المحتوى القضوي:** والمحتوى القضوي هو المعنى الأصلي للقضية ويتحقق هذا الشرط إذا دّل على حث في المستقبل ملزم به المتكلم. مثال: وعد = (فعل الوعد).

2- **الشرط التمهيدي:** يتحقق في حالتين:

أ- إذا كان المتكلم قادرا على إنجاز الفعل.

ب- ليس من الضروري أنّ يكون المتكلّم على دراية بأنّ المتلقي سينجز الفعل المطلوب في المجرى المعتاد للأحداث، فقد لا ينجزه.

[1] مرجع سابق: محمود، أحمد نحلة. ص 74.

3- **شرط الإخلاص:** يتحقق في حالة ما إذا كان المتكلم مخلصا في أداء الفعل، فلا يزعم أنّه قادر على فعل ما لا يستطيع .

4- **الشرط الأساسي:** ويتحقق هذا الشرط عندما يحاول المتكلم التأثير في السامع.

*ولم يكتف " سيرل " بذلك بل قال إنّ هناك على الأقل إثنى عشر بعدا يختلف بها كلّ فعل إنجازي عن الأخر ومضى يذكرها مفصلة سنوجزها فيما يلي:[1]

1- **الاختلاف في الغرض الإنجازي للفعل:** فالغرض الإنجازي للأمر مثلا: هو محاولة التأثير في السامع ليقوم بفعل ما، في حين أنّ الغرض الإنجازي من الوعد مثلا : هو إلزام المتكلم نفسه بفعل شيء ما للمخاطب.

2- **الاختلاف في اتجاه المطابقة:** فاتجاه المطابقة يختلف في بعض الأفعال الإنجازية من الكلمات إلى العالم أو العكس من العالم إلى الكلمات.

3- **الاختلاف في الموقف النفسي الذي يعبّر عنه المتكلم:** فمثلا: الذي يعد أو يتوعد يعبر عن مقصدية الإنجاز، في حين: الذي يتعذر مثلا: يُعبّر عن الندم على ما فرط منه.

4- **الاختلاف في القوة أو في الدرجة التي يعرض بها الغرض الإنجازي:** فقولك مثلا: " أقترح أن نذهب إلى السينما " وقولك : أُصر على أن نذهب إلى السينما : كل منهما (المثالين) يتفقان في الغرض الإنجازي. لكنّه عُرِض في كلّ واحد بدرجة مختلفة من القوة. ففي القول الثاني (أصّر على أن نذهب إلى السينما) أقوى وأشد من الأول.

5- **الإختلاف في منزلة كل من المتكلم والسامع:** نضرب مثال لذلك: إذا طلب الضابط من الجندي أن يفعل شيئا كان أمرا. أما إذا طلب الجندي من الضابط أن يفعل شيئا كان هذا اقتراحا أو رجاءا. لكنه ليس بحال.

6- **الاختلاف في طريقة ارتباط القول باهتمامات المتكلم أو السامع:** كالاختلاف بين المدح والرثاء.

[1] ينظر: مرجع سابق :حمود، أحمد نحلة. ص 75.

7- **الاختلاف في العلاقة بسائر عناصر الخطاب والسياق الذي يقع فيه:** فقولك: أجيب، أستدل، أستنتج أو أعترض على ...يربط الأقوال التالية بالأقوال التي سبقتها وبالسياق المناسب لها.

8- **الاختلاف في المحتوى القضوي:** كالاختلاف بين الإخبار والتوقع.

9- **الاختلاف في أن يكون القول دائما كلاميا:** وأن يمكن أن يكون فعلا كلاميا لكن لسنا في حالة إلى أنّ نجعله فعلا كلاميا.

10- **الاختلاف في أن يقتضي أداء الفعل عرفا غير لغويا أو لا يقتضي:** مثال: كالزواج، فلا يجوز إلاّ في إطار عرف غير لغوي. ومثلا : الأفعال مثل أفعال الوعد أو الإخبار فكلاهما لا يحتاج إلاّ إلى العرف اللغوي.

11- **الاختلاف في أن تكون الأفعال قابلة للأداء أو لا تكون:** فمعظم الأفعال الإنجازية قابلة للأداء مثال: أعد ، آمر....وثمّة أفعال لا تؤدى مثال: أنا أقنعك ، أنا أُفْزِعُكَ، فليس كلّ الأفعال الإنجازية أفعالا أدائية.

12- **الاختلاف في أسلوب أداء الفعل:** كالاختلاف بين الإعلان والإسرار. فكلاهما لا يختلفان في الغرض الإنجازي. ولا في المحتوى القضوي. بل يختلفان في أسلوب الأداء[1].

* أعاد " سيرل " النظر في تصنيف الأفعال الكلامية، وقد اعتمد في تقسيمها على أسس منهجية هي: **الغرض الإنجازي، اتجاه المطابقة وشرط الإخلاص.**

فتوصّل إلى خمسة أصناف نفصّل فيها فيما يلي:

أ- **الإخباريات:** أو (التقريريات) والهدف منها تطويع المتكلم حيث تتطابق الكلمات مع العالم مراعيا الحالة النفسية وأفعال هذا الصنف كلها تحتمل الصدق والكذب ومثال ذلك : **"سيأتي غدا"**[2]

[1] ينظر: مرجع سابق: محمود، أحمد نحلة. ص 77.

[2] ينظر: فيليب، بلانشيه. التداولية من أوستن إلى غوفمان. تر: صابر الحباشة، ط 1. سوريا: دار الحوار للنشر والتوزيع، 2007، ص 66.

ب- **التوجيهات:** أو (الطلبيات) والغرض منها حمل المخاطب على أداء فعل معين، وتتجلى المطابقة فيها، في تطابق العالم مع الكلمات وشرط الإخلاص فيها يتمثل في الإرادة أو الرغبة الصادقة ويدخل في هذا الصنف الاستفهام، الأمر، الاستعطاف، ومثال ذلك: " أخرج "[1]

أما التصنيفات الثلاثة المتبقية فقد اتفق فيها " سورل " و " أوستن " وهي الوعديات، الإفصاحات والتصريحات وهي على الترتيب:

ج- الوعديات: (الالتزامات): الهدف منها التزام المتكلم بانجاز عمل ما مع وجوب مطابقة العالم للكلمات، أمّا الحالة النفسية مشترط فيها النية الصادقة ومثال ذلك: " **سوف أتي** ".

د- الإفصاحات: أوردنا سابقا أنّ هذا التصنيف مطابقا لتصور " أوستن " لكن بتسمية مغايرة وهي (السلوكيات) في تصنيفيته، والهدف منها في تصور " سيرل " التعبير عن الحالة النفسية بصدق النية مع وجود مطابقة مع العالم الخارجي والكلمات. ومثال ذلك: " **أعْذُرني** "

هـ- التصريحات (الإعلانات): الغرض منها إحداث تغيير في العالم الخارجي، أهم ما يميزها عن الأصناف السابقة أنّها تحدث تغيير في الوضع القائم، فضلا على أنّها تقتضي عرفا غير لغوي وليس في هذا الصنف شرط الإخلاص. أمّا المطابقة فيها تكون من الكلمات إلى العالم[2].

وكحوصلة على ما قدمه " سيرل " من تعديلات وإضافات على ما أسسه " أوستن " في مجال التداولية عموما وبالأخص في نظرية أفعال الكلام. وسبق وأشرنا إلى أنّ " سيرل " يعّد الأب الشرعي لهذه النظرية. وسنذكر في نقاط أهمّ الأعمال التي قام بها في هذا المجال كالتالي:

- قام بتعديل التقسيم الذي قسمه "أوستن" للأفعال الكلامية، فجعله أربعة أقسام، أبقى منها على القسمين الإنجازي والتأثيري والفعل اللفظي والفعل القضوي.

[1] ينظر: مرجع سابق.: فيليب، بلانشيه. ص 66

[2] م ن. ص ن.

- رأى "سيرل" أنّ الفعل الكلامي أوسع من أنّ يقتصر على مراد المتكلمّ. بل هو أيضا مرتبط بالعرف اللغوي والاجتماعي، فتوصل من خلال هذا إلى أنّ قصد المتكلّم وحده لا يكفي. بل لابّد من العرف اللغوي أيضا.
- استطاع " سيرل " أن يطور تصور " أوستن " لشروط الملاءمة أو الاستخدام، التي إذا تحققت في الفعل الكلامي كان موفقا، فجعلها أربعة شروط وهي:

– شرط المحتوى القضوي

– الشرط التمهيدي

– شرط الإخلاص

– الشرط الأساسي

وهي شروط نجاح الفعل الكلامي كما سمّاها " سيرل "

- وضع "سيرل" بعض الضوابط للتمييز بين الأفعال المباشرة والأفعال غير المباشرة بتحديد ثلاث فروق جوهرية:

1- **أحدهما:** أن القوة الإنجازية للأفعال المباشرة تظل ملازمة لها في مختلف المقامات، أما الأفعال الإنجازية غير المباشرة موصلة بالمقام لا تظهر قوتها الإنجازية إلاّ فيه.

2- **ثانيهما:** أنّ القوة الإنجازية للأفعال غير المباشرة يجوز أن تلغى.

3- **ثالثهما:** أنّ القوة الإنجازية غير المباشرة لا يتوصل إليها إلاّ عبر عمليات ذهنية استدلالية تتفاوت من حيث البساطة والتعقيد. أما القوة الإنجازية المباشرة فتؤخد مباشرة من تركيب العبارة نفسها.

- جعل "سيرل " الأفعال الكلامية خمسة معتمدا في تقسيمها على أسس منهجية وهي كالأتي:

– الإخباريات (التقريريات)

- التوجيهات (الطلبيات)
- الوعديات (الالتزامات)
- الإفصاحات (السلوكيات)
- التصريحات (الإعلانيات)

ومن هنا يمكن القول أن "سيرل" قد بذل مجهودا عظيما في تطوير هذه النظرية، وأنّ جلّ الأعمال والإسهامات العظيمة التي قدّمها في تطوير هذه النظرية. جعلت العلماء ينسبون إليه هذه النظرية لذلك يعرف بمؤسس نظرية أفعال الكلام.

2- الافتراض المسبق:

تعود المحاولات الأولى لدراسة الإفتراض المسبق أو السابق إلى فيلسوف أكسفورد هو "ستراوس" الذي أعاد إنتاج مفهوم كان قد ظهر فعلا على يد الرياضي الألماني " فريجه " بوصفه مشكلة من مشكلات علم الدلالة المنطقي المؤسس على الصدق، من أجل ذلك كانت دراسة الإفتراض المسبق ما أثار اهتمام الباحثين منذ أوائل العقد السابع من القرن العشرين. ثمّ برزت إلى موقع الصدارة من اهتمام الباحثين في أوائل العقد الثامن حين أصبحت الوجهة التداولية في دراسة المعنى هي الأساس في هذا الجانب[1].

إنّ الإفتراض المسبق يعدّ من أهّم قضايا التداولية، وهو في معناه أنّ اللّغة مجموعة رموز وإحالات مرجعية. ينطلق المتخاطبون من معطيات أساسية معترف بها[2]، حيث يوجّه المتكلم حديثه إلى السامع على أساس ممّا يفترض سلفا أنّه معلوم له. فإذا قال رجل لأخر على سبيل المثال:

"أغلق النافذة" ⟸ المفترض سبقا هو: أنّ النافذة مفتوحة.

- وأنه هناك مبررا لغلق النافذة

[1] محمود، أحمد نحلة. أفاق جديدة في البحث اللغوي. د ط، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية للنشر والتوزيع، 2002، ص 27.
[2] عبد الله، جاد الكريم. التداولية في الدراسات النحوية، ط 1، القاهرة: مكتبة الأدب، 2014، ص 45.

وكون هذا الرجل على علم بمدى قدرة السامع على تنفيذ هذا العمل فلا بد من توفير مايلي:

1- كون المخاطب قادر على الحركة أولا.

2- كون المتكلم في منزلة الأمر ثانيا. فمثلا: إذا أمر الأب ابنه.

وكل هذا موصول بسياق الحال وعلاقة المتكلم بالمخاطب.

مثال آخر ليتضح الإفتراض المسبق أكثر، لنتصور الحالة الثانية:

يقول الطرف 1 إلى الطرف 2:[1]

- **الطرف (1)**: كيف حال زوجتك؟ وأولادك؟

إنّ هذا يفترض بأنّ العلاقة بين هذين الطرفين تسمح بطرح هذه الأسئلة .

- **الطرف (02)**: قائلا: - هي بخير شكرا

- الأطفال في عطلة.

ففي حالة إذا ما كانت الخلفية الإخبارية غير مشتركة بين المتكلمين. فإن الطرف (02) قد يتجاهل السؤال أو يدلي بالخبر الضروري أو رفض الكلّ:

- أنا لا أعرفكم (01)

- أنا لست متزوجا (02)

- لقد طلقت زوجتي (03)

لقد ميّز بعض الباحثين منذ وقت مبكر بين نوعين من الإفتراض المسبق هما:[2]

[1] الجيلالي، دلاش. مدخل إلى اللسانيات التداولية. تر: محمد يحياتن. د ط، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1983، ص 34.

[2] مرجع سابق: محمود، أحمد نحلة. ص 28.

أ- **الإفتراض المسبق المنطقي أو الدلالي:** يكون مشروط بالصدق بين القضيتين، فإذا كانت (أ) صادقة كان من اللازم أن تكون (ب) صادقة وهنا ردّ الفعل الثاني من قبل الطرف (02) هو الإفتراض المسبق المنطقي.

ب-**الإفتراض المسبق التداولي:** لا دخل له بالصدق والكذب، فالقضية الأساسية يمكن أن تنفى دون أن يؤثر ذلك في الإفتراض المسبق، فالافتراضات المسبقة التداولية في المثال الذي ذكرناه سابقا فيعتبر رد الفعل (01) افتراضا تداوليا مسبقا قويا ورد الفعل (03) افتراض تداولي لكن أقل قوة.

إنّ "الافتراضات السابقة" كما يرى التداوليين ذات أهمية كبيرة في عملية التواصل، حيث تمّ الاعتراف بدورها الفعّال منذ زمن طويل. فلا يمكن تعليم الطفل معلومة إلاّ بافتراض مسبق يتمّ الانطلاق منه والبناء عليه. فالاتصال السيئ الذي يحدث بين الطفل ومعلمه سببه الأول هو ضعف الافتراضات المسبقة بغض النظر عن العوامل الأخرى[1].

3- الاستلزام الحواري:

إنه من أهمّ جوانب البحث والتحليل التداولي. فهو ألصقها بطبيعة البحث فيه، وأبعدها عن الالتباس بمجالات الدرس الدلالي، ولقد كانت بداية البحث فيه مع المحاضرات التي دعا "جرايس" (*) إلى إلقائها في جامعة هارفارد سنة (1928)، فقد فيها بإيجاز تصوّره لهذا الجانب من الدرس. والأسس المنهجية التي يقوم عليها[2]. وعلى الرغم من أنّ أفكاره لم تكن متماسكة، فقد أضحى عمله واحدا من أهم النظريات في البحث التداولي؛ اكتشف "جرايس" أنّ:

- الناس قد يقولون ما يقصدون
- قد يقصدون أكثر ممّا يقولون

[1] ينظر: مسعود، صحراوي. التداولية عند العلماء العرب. ط 1. بيروت- لبنان: دار الطليعة للطباعة والنشر، 2005، ص 32.

(*): جرايس: فيلسوف من فلاسفة أكسفورد المتخصصين في اللغة الطبيعية هي صاحب مبادئ المحادثة. ومبدأ التعاون المشهور في الدرس التداولي. ولقد أنشأ جرايس مبادئ عامة تؤسس لمقاصد المخاطبين والمشاركين في عملية التخاطب.

[2] عياشي، أدرداي. الإستلزام الحواري في التداول اللساني. د ط، المغرب: منشورات الإختلاف: دار الزمان، 2011، ص 17.

- وقد يقصدون عكس ما يقولون

ويتضح كل هذا من خلال الحوار الأتي بين أستاذين: (أ) و (ب):[1]

الأستاذ (أ): هل الطالب (ج) مستعد لمتابعة دراسته الجامعية في قسم الفلسفة؟

الأستاذ (ب): إنّ الطالب (ج) لاعب كرة ممتاز

إنّ الاستلزام في نظر " جرايس " نوعان:[2]

أ- استلزام عرفي

ب- استلزام حواري

لقد كان ما يشغل " جرايس " هو كيف يكون ممكنا أن يقول المتكلمّ شيئا ويعني شيئا آخر؟ وكيف يكون ممكنا أن يسمع المخاطب شيئا ويفهم شيئا آخر؟ وجد لهذا الإشكال حلا سمّاه (مبدأ التعاون) بين المتكلم والمخاطب وهو مبدأ حواري عام، يشتمل على أربعة مبادئ أو مسلمات فرعية هي: [3]

1- مبدأ الكمّ
2- مبدأ المناسبة
3- مبدأ الطريقة
4- مبدأ الكيف

وللاستلزام الحواري عند " جرايس " خواص تميّزه عن غيره من أنواع الاستلزام الأخرى، وقد استطاع أن يلخصها وهي:[4]

[1] مرجع سابق: مسعود، صحراوي. ص 33.
[2] مرجع سابق: محمود، أحمد نحلة. ص 33.
[3] مرجع نفسه. ص 34.
[4] مرجع نفسه. ص ص 38-39.

- الاستلزام الحواري يمكن إلغاؤه
- الاستلزام الحواري لا يقبل الانفصال عن المحتوى الدلالي.
- الاستلزام الحواري متغيّر، بمعنى (متغير) أن التعبير الواحد يمكن أن يؤدي إلى إستلزامات مختلفة في سياقات مختلفة.
- الاستلزام الحواري يمكن تقديره والمراد به أنّ المخاطب يقوم بخطوات محسوبة إلى الوصول إلى ما يستلزمه الكلام.

هذا هو الاستلزام الحواري عند " جرايس " الذي يمثل نظرية متكاملة. حاول الباحثون إيضاحها بأمثلة كثيرة، كما حاولوا تطويرها وهي قريبة جدا مما ورد في التراث اللغوي العربي عند البلاغيين وعلماء أصول الفقه.

4- السياق (المقام):

لا بّد من الإشارة إلى أنّه يوجد العديد من الكتاب يستخدمون مصطلحي المقام والسياق دون تمييز. وكذلك يجدر بنا أنّ نقدمّ للقارئ بعض الآراء حول هذا المفهوم:[1]

أولا: يعرفه (المقام) " ف. فال " بقوله: إنّه مجموعة من العوامل التي يتعين على الفرد الاحتفال بها حتى يتوفق في إنجاز فعله اللغوي.

ثانيا: وضع " هابرماس " قائمة للعناصر المكونة للمقام والتي هي من مشمولات الملكة التبليغية.

ثالثا: يعود الفضل إلى " لفندرليش " الذي قام بحصر العناصر المكونة للمقام وهي:

- المشاركون في التبليغ: المتكلمون والمستمعون.
- مكان التفاعل.
- القول والصفات اللغوية وغير اللغوية.

[1] مرجع سابق: الجيلالي، دلاش. ص 41.

- مقاصد المتكلمين.
- ترقبات المتكلم والمستمتع.
- مساهمة المشاركين في الموضوع.

إن هذه التصورات المختلفة جعلت كلّ من " قاليسون " و " كوست " يضعان حدا للسياق في قولهما: « المقام هو مجموع شروط إنتاج القول، وهي الشروط الخارجة عن القول ذاته، والقول وليد قصد معيّن، يستمد وجوده من شخصية المتكلم ومستمعيه. ويحصل ذلك في الوسط واللحظة اللذين يحصل فيهما...وهذه العوامل المؤثرة على إنجاز القول هي التي تشكل المقام »[1].

بات السياق عند المحدثين مرتبط بالسياق الخارجي للنّص أو المقام عند القدماء وهو يتعلق بكلّ ماله علاقة بالسياق غير اللغوي، وفي هذا الأخير يميّز بين السياق الآني أو الصغير وبين السياق الموسع أو الكبير.

وفي هذا الصدد قسم السياق إلى أربعة أقسام – وهذا التقسيم نجده في التقسيم التقليدي الذي يستوحي مفاهيم نظرية السياق " عند فيرث " – وهي:[2]

أ- السياق اللغوي

ب- السياق العاطفي

ج- السياق الثقافي

د- سياق الموقف

[1] مرجع سابق: الجيلالي، دلاش. ص 41.

[2] يحي، بعيطيش. (نحو نظرية وظيفية للنحو العربي). أطروحة دكتوراه دولة، جامعة منتوري. قسنطينة، 2005-2006، ص 456.

أشار " دومينيك ما نغيمو " إلى أنّ الملفوظ العادي يحيل مباشرة إلى سياقات مدركة وعلى هذا يلفت الانتباه إلى أنّ النصوص تؤسس مقامها التلفظي بواسطة شبكة داخلية في النصّ. وعلى هذا النحو نجد تقسيم آخر للمقام (السياق)، حيث يمكن التفريق بين مقامين هما:[1]

أ- مقام المحادثة (التبليغ)

ب- مقام التلفظ.

أ/ مقام التبليغ: يحيل على المحيط الخارج لساني أين توجد ذوات طبيعية، فيزيائية، واحد من هذه الذوات يوجد في مصدر الرسالة، والثاني في موقع الاستقبال إنه المتلقي الذي يُؤَوِّلها.

ب/ مقام التلفظ: فهو الذي يحيل على الجهاز الشكلي للتلفظ، ويتعلق بعملية الإخراج اللغوي، ويتحدد بعلامات لغوية تكون عبارة عن ذوات لسانية. محددة بمصطلحي: المتلفظ والمتلفظ له.

وفيما يلي مخطوطة لأنواع السياق حسب أصحاب نظرية السياق ل " فيرث " التي ذكرناها سابقا وهي مفصلة على النحو التالي:[2]

[1] قدور، عمران. البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني. ط 1، الأردن: جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع. 2011. ص 19.

[2] ينظر: أحمد، محمود قدور، مبادئ اللسانيات. ط3، دمشق: دار الفكر للطباعة والنشر، 2008، ص 353.

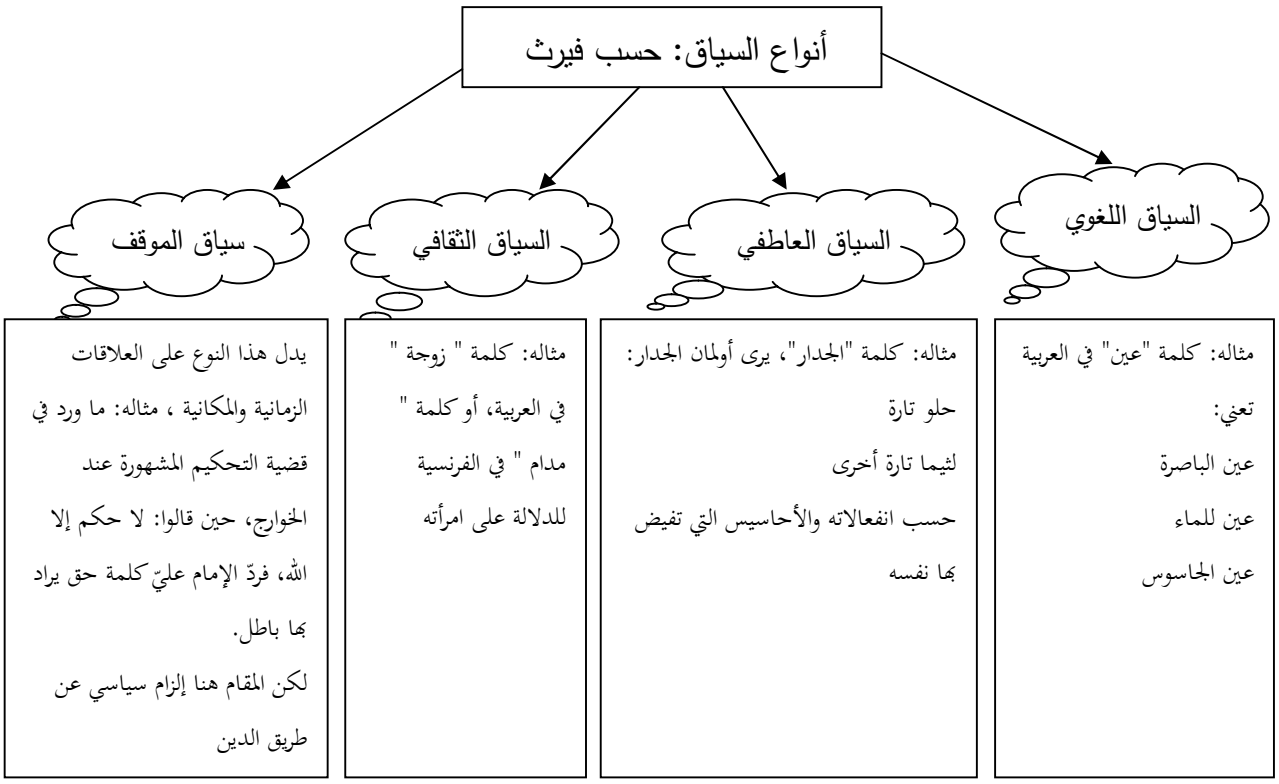

5- الإشاريات:

اهتم بها العلماء قديما، من خلال أدوات الربط بين أجزاء الجملة وبين مجموعة الجمل واهتمامهم ببعض الجوانب الصرفية والنحوية والدلالية، ففي كلّ اللغات كلمات وتعبيرات تعتمد اعتمادا تاما على السياق الذي تستخدم فيه ولا يستطاع إنتاجها أو تفسيرها بمعزل عنه، فإذا قرأت جملة متقطعة من سياقها مثلا هذه العبارة : " **سوف يقومون بهذا العمل غدا، لأنّهم ليسوا هنا الآن**".

وجدتها شديدة الغموض لأنها تحتوي على عدد كبير من العناصر الاشارية التي يعتمد تفسيرها تاما على السياق المادي التي قيلت فيه، ومعرفة المرجع الذي تحيل إليه، ومن بين هذه العناصر:

- واو الجماعة (و)
- ضمير الجمع الغائبين (هم)
- اسم الإشارة (هذا)

- وظرف الزمان (لأن، غدا)
- ظرف المكان (هنا)

ولا يتضح معنى هذه الجملة إلاّ إذا عرفنا ما تشير إليه هذه العناصر[1]، وأغلب الباحثون على أنّ الإشاريات خمسة أنواع، واقتصر بعضهم على ثلاثة أنواع فقط، وبعضهم على أربعة، لكن سنذكر فيما يأتي خمسة أنواع وهي:[2]

1- **الإشاريات الشخصية:** وهي تمثل الضمائر الدّالة على المتكلم والمخاطب والغائب، سواء كانت متصلة أو منفصلة.

2- **الإشاريات الزمانية:** وتمثلها ظروف الزمان بصورة عامة. فإذا لم يعرف الزمن التبس الأمر على المتلقين. وقد تدل العناصر الإشارية على الزمان الكونيّ والنحويّ.

3- **الإشارات المكانية:** وتمثّلها بصورة عامة ظروف المكان، ويعتمد استعمالها وتفسيرها على معرفة مكان المتكلم وقت التكلّم ولعّل أكثر الإشاريات المكانية هي: هذا، هنا، هناك، تحت....

4- **الإشاريات الاجتماعية:** وهي ألفاظ أو عبارات تشير إلى العلاقة الاجتماعية بين المتكلمين والمخاطبين من حيث هي علاقة رسمية، أو غير رسمية، أو علاقة أخرى.

5- **اشاريات الخطاب:** قد تلتبس اشاريات الخطاب بالإحالة إلى سابق أو لاحق، ولذلك أسقطها بعض الباحثين من الإشاريات، وقد يبدوا أن تستعار اشاريات الزمان واشاريات المكان لتُستخدم اشاريات للخطاب، لكن هناك اشاريات الخطاب التي تعدّ من خواص الخطاب، وتتمثل في العبارات التي تذكر في النصّ مشيرة إلى موقف خاص بالمتكلم، فقد يتحير في ترجيح رأي على رأي فيقول: " **وَمَهْمَا يَكُنْ اَلْأَمر** " وقد يتعين له إضافة شيء آخر على الكلام السابق فيقول : " **فَضْلا**

[1] محمود. أحمد نحلة. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر. د ط، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية للنشر والتوزيع، 2002، ص 16.
[2] عبد الله، جاد الكريم. التداولية في الدراسات النحوية، ط1، القاهرة: مكتبة الآداب، 2014، ص ص 444-45.

عَنْ ذلك ". وقد يريد أن يرتب أمرا على آخر فيقول : " **مِنْ ثُمَ** " ...الخ، وهذه كلها اشاريات خطابية خالصة.[1]

المطلب الثاني: علاقة التداولية بالعلوم الأخرى.

تتشابك التداولية مع علوم شتى وتربطها بها علاقات وروابط عديدة، ومن هذه العلوم: علم النحو وعلم البلاغة. كما ترتبط التداولية بعدّة مجالات للدراسة، وعدّة فروع علمية أخرى: كعلم الاجتماع اللغوي، علم اللغة النفسي...الخ.

1- علاقة التداولية بالبلاغة:

أولا: ماذا يقصد بالبلاغة؟ .إجابة عن هذا السؤال نقول:

البلاغة: « هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته »[2]، فأول ما تتصرف إليه البلاغة هو الإبلاغ، فتعالج كيفية التأثير في الآخر، وإقناعه وهذا يعّد من صميم البحث التداولي.

- فإذا كانت التداولية: دراسة مناحي الكلامي، أو دراسة اللغة حين الاستعمال، فإنّ البلاغة هي المعرفة باللغة أثناء الاستعمال. وبكلمة هي " فن القول "[3].

- وتعد البلاغة أحسن ما يتناول إبراز العلاقات التداولية في اللغة، لأنها تهتم بدراسة التعبير على مختلف مستوياته: اللفظية والتركيبية والدلالية والعلاقات القائمة بينها.

والبلاغة بصفة عامة تعنى بمجموعة من العناصر تعّد من صميم البحث التداولي وتكون في الكلام والمتكلم منها:[4]

- الاهتمام بمستويات اللغة جميعا، والعناية بسلامة الألفاظ.

[1] مرجع سابق: محمود ، أحمد نحلة. ص ص 24-25 .

[2] جلال الدين، الخطيب القزويني. الإيضاح في علوم البلاغة. د ط، لبنان: دار الكتب العلمية، د ت، ص 11.

[3] خليفة، بوجادي. في اللسانيات التداولية. ط1، الجزائر: بيت الحكمة للنشر والتوزيع، 2009،ص 15.

[4] عبد الله، جاد الكريم. التداولية في الدراسة النحوية. ط1، القاهرة: مكتبة الآداب، 2014،ص 109.

- أن يكون المتكلم صادقا في نفسه.
- معرفة المقام (السياق) الذي قيل فيه الكلام.
- اعتمادهم لمبدأ " لكل مقام مقال ".
- اهتمامهم بعناصر الخطاب: المتكلم وقصده. السامع وأحواله، والخطاب ونوعيته والظروف المحيطة بكل ذلك.

كل العناصر البلاغية السابقة الذكر تتوافق إلى حدّ بعيد مع اللسانيات التداولية التي تعنى بالشروط اللازمة لكي تكون الأقوال اللغوية مقبولة وناجحة وملائمة في الموقف التواصلي الذي يتحدث فيه المتكلم.

لقد ذهب العديد من العلماء إلى التسوية بين البلاغة والتداولية. وفي هذا الصدد يقول " جيفري ليتش " : « إنّ البلاغة تداولية في صميمها، إذ إنها ممارسة الاتصال بين المتكلم والسامع »[1].

– فكلاهما يهتم بعملية التلفظ والعوامل المتحكمة فيها قبل الكلام وأثناء التلفظ بالخطاب، وإلى غاية إنجازه.

– فالبلاغة والتداولية علمان يتفقان في دراسة الوسائل اللغوية التي يستعملها المتكلم في عملية التواصل، ودراسة العلاقة بين الكلام وسياق الحال وأثر العلاقة بين المتكلمّ والمخاطب على الكلام والمقاصد من الكلام[2].

ونظرا للعلاقة الوشيجة بين البحث البلاغي القديم والمفاهيم التداولية المعاصرة، ونذكر على سبيل المثال: بلاغة "الجرجاني" والتداولية الجديدة.

– نلاحظ في " دلائل الإعجاز " مصطلحات لا تختلف عن أحدث ما أنتجه العقل التداولي الغربيّ : متكلم، سياق (مقام)، مخاطب، معنى معلوم. إنّ غياب المعنى المعلوم لدى " الجرجاني "

[1] صلاح، فضل. بلاغة الخطاب وعلم النص. د ط. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب، 1992،ص 31.
[2] مرجع سابق: عبد الله، جاد الكريم. ص 111.

معناه اللادلالة، وهو يريد الفهم الخاص الذي يؤسس على مرجعية ذاتية، وهو ما تبنته التداولية لاحقا.[1]

2- علاقة التداولية بالنحو:

وصف علماء العربية النحو العربيّ بأنّه نحو تصنيفيّ، فهو يعتمد أساسا على تصنيف الكلمات إلى أقسام، وتصنيف الكلمات داخل كلّ قسم حسب فئات نحوية تختلف من قسم إلى آخر، وتهدف إلى وصف مفصل للكلمات من حيث الشكل، ومن حيث علاقتها ببنية الجملة. وعلم النحو يعني بدراسة العلاقات الشكلية بعضها مع بعض؛ أي يهتم بالتركيب الداخلي للجملة. [2]

فعلى الرغم من اهتمام علم النحو العربي بتنظيم سياق التركيب الداخلي إلاّ أنّ دوره لا يهمل في مجال التحليل التداولي، فمثلا:

- العلاقات القواعدية التي تسيطر على نصّ ما والتي تتحكم في عملية البناء اللغوي ليست إلاّ خطوة أولى في عملية التفسير والفهم التداولي.
- إنّ للمعنى النحوي أهمية كبيرة في عملية التحليل التداولي، فمثلا: البعد التداولي حاضر بمجرد ما ندخل لمفهوم القاعدة النحوية التي تعدّ نقطة البداية للفهم التداولي، بوصف التداولية هدفا متطورا لدلالة التركيب.

يوجد ترابط بين المستوى النحوي والتداولي في عملية التحليل، فعلم النحو كما ذكرنا سابقا، يعتمد على عناصر تركيبية يمكن وصفها بأنّها عناصر مستقلة ومنفصلة ومحددة، فبإمكان المخاطب أنّ يتناول دلالات علامات التركيب اللغوي، وما تستند إليه من وظائف نحوية: كالمبتدأ أو الخبر والفعل والفاعل...الخ

[1] ثقبايت، حامدة (قضايا التداولية في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني)، مذكرة لنيل شهادة الماجيستر. جامعة مولود معمرّي. تيزي وزو، 2012، ص 2.

[2] محمود، أحمد نحلة. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر. دط، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية للنشر والتوزيع، 2002، ص 9.

في حين أن التداولية: لا يمكنك معرفة أيا من المعاني هو نهاية مطاف سعيك الدلالي إلاّ من خلال ربط التركيب بسياقه الخارجي للحصول على المعنى. فالمخاطب يبحث عن أفضل طريقة لمعرفة مقاصد المرسل لحظة التلفظ[1].

ففي الأخير يظهر الارتباط بين النحو والتداولية بصورة واسعة النطاق وذلك لأنّ: النحو يعتمد على مبدأ الإفادة وعلاقته بظواهر اليقين والإثبات والنفي والتأخير والتقديم والغرض والقصد وبحوثه متنوعة: كالقسم والإغراء وغيرها[2].

إنّ التقاء التداولية مع مجموعة من العلوم جعل الجانب المفاهيمي لها يمتاز بالثراء والتشعّب من باحث لأخر، إذ ظهرت تعريفات مختلفة لها. ونجد في هذا الصدد " دومنيك مانقونو " يتحدث عن هذه الوفرة المفاهيمية بقوله: أنّها نابعة من كون التداولية ملتقى لمصادر أفكار وتأملات مختلفة يصعب حصرها، إضافة إلى تداخلها مع علوم أخرى، ممّا جعل مجالها ثريا وواسعا.

[1] أحمد، فهد صالح شاهين. النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، ط1، إربد-الأردن: عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، 2015، ص ص 24-25.

[2] محمد محمود السيد، أبو حسين. الدرس التداولي في ضوء علم اللغة الحديث. دط، القاهرة: مكتبة دار الفكر العربي، 2010، ص 16.

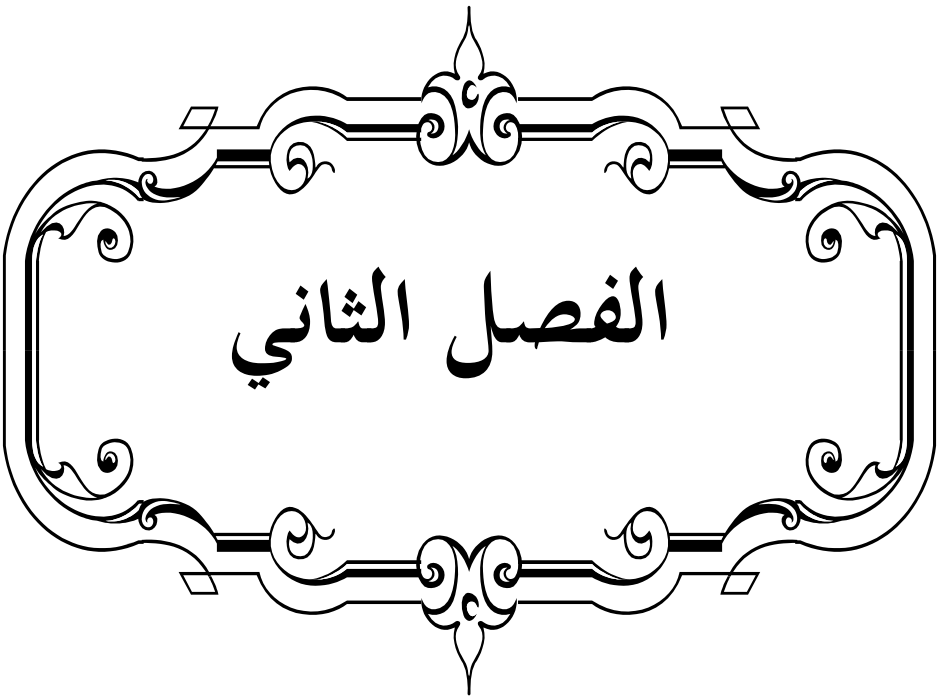
الفصل الثاني

المبحث الأول: التقديم والتأخير في الدراسات النحوية

تمهيد:

لقد شرف الله اللغة العربية وخصّها بالعديد من الميزات، ولعّل أهمها، كونها لغة مقدسة قداستها من قداسة القرآن الكريم. فهي لغة نزل بها خاتمة كتبه السماوية [1] ، لغة منظمة دقيقة النظام، عجيبة التركيب، واللغة العربية بفنونها وأفنانها تضم في فحواها مباحث لغوية عديدة، فصّل فيها العلماء ونظروا في فروعها، كلّ حسب وجهة نظره، فدرسها البلاغي، والنحوي، والأصّولي.

ومن سمات اللغة العربية ومميزاتها التقديم والتأخير، هذه الظاهرة التي كانت ولتزال محط الإهتمام والدراسة من قبل علماء البلاغة وعلماء النحو، حتى أنك تلتمس تلك العلاقة الموجودة بين هذين العلمين والمنحصرة في موضوع التقديم والتأخير، فعلم البلاغة مكمل لعلم النحو، وعلم النحو مكمل لعلم البلاغة.

وممّا لا ريب فيه أنّ سر بقائها حية قوية بخلاف غيرها من اللغات التي زالت وانتهت، هو الكتاب العظيم المنزل بلسان عربي مبين.

ومن بين البلاغيين الذين أولوا هذا الموضوع عناية كبيرة: "عبد القاهر الجرجاني"، لقد تنبه هذا الأخير إلى فائدة التقديم والتأخير وذكرها في كتابه دلائل الإعجاز قائلا: « هذا باب كثير الفوائد، جمّ المحاسن، واسع التصّرف، بعيد الغاية...» [2]

وتناوله "الزركشي" وأشار إلى أنّه كائن عند العرب القدامى. وهو دليل على فصاحتهم وتمكنهم من قول الكلام البليغ، فهو أسلوب عربي يبين تفوق العربية على اللغات الأخرى، وقد كتب فيه

[1] عبد الكريم الدخيسي. «التقديم والتأخير في بلاغة العرب». مجلة ضفاف الإبداع. دون عدد، (17- أكتوبر 2016): ص 01.

[2] أبوبكر عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد، الجرجاني. دلائل الإعجاز. دط، القاهرة: مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، د ت، ص 106.

قائلا: « أتي به دلالة على تمكنهم في الفصاحة وملكتهم في الكلام، وانقياده لهم، وله في القلوب أحسن موقع وأعذب مذاق » [1]

يبقى إذن: التقديم والتأخير من الموضوعات التي نالت حظا وافرا من الدراسة والإهتمام.

المطلب الأول: مفهوم التقديم والتأخير:

1- لغة

أ/ التقديم لغة:

جاء في **لسان العرب لابن منظور**: « القدم والقدمة: السابقة في الأمر، وتقدم كقدم، وقدم كاستقدام (...) فالقدم كل ما قدمت من خير » [2]

وورد في **معجم الوسيط**: « قَدَمَ: فُلانٌ قدماً ، تقدُماً ، وقَدَماً : شَجُعَ فهو قدوم ومقدامٌ والقوم قَدِماً وقدوماً ، سبقهم فصار قُدَّامَهُم، [3] وفي التنزيل الحكيم قال تعالى: ﴿ قَوْمَهُۥ يَقْدُمُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ سورة هود [الآية 98].

وورد أيضا في **معجم أساس البلاغة للزمخشري** في مادة (قدم): « قدم: تقدّمه وتقدّم عليه واستقدم. وقد جاء في كتابه عزّوجل: ﴿ **فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ** ﴾ سورة الأعراف [الآية 34]. واستقدمت رجالتك.

وقَدَّمتُه وأَقْدَمْتُهُ فقدم وأقدم بمعنى تقدّمَ، ومنه مقدمة الجيش ومقدّمتُه: للجماعة المتقدمة، والإقدام في الحرب » [4]

---

[1] بدر الدين، محمد بن عبد الله الزركشي. البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم. دط، ج3، القاهرة: مكتبة دار التراث، 1957، ص 233.

[2] أبو الفضل جماد الدين، محمد بن مكرم ابن منظور. "لسان العرب". ط1. بيروت: دار صادر للطباعة والنشر. 2000، مادة (قدم). ص 37.

[3] مجمع اللغة العربية جمهورية مصر العربية. "معجم الوسيط"، ط4، ج1، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية للطباعة والنشر، 2015، ص 8.

[4] أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد، الزمخشري. "أساس البلاغة" .تح: محمد باسل عيون السود. ط1، ج2، بيروت- لبنان: دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، 1998، ص 58.

والقدم: قدم الرجل، وجمعه أقدام وبه اعتبر التقدم والتأخر (...) وقدمت فلانا أقدمه إذا تقدّمته. قال تعالى: ﴿**بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ**﴾ سورة البقرة [الآية 95].وقوله أيضا: ﴿ **لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ**﴾ سورة الحجرات [الآية 01].

قيل معناه لا تتقدّموه. [1]

من خلال المعاجم اللغوية التي ذكرناها سابقا لا يكاد لفظ التقديم يخرج من معنى: السابق من الأمر والمتقدم والمستقدم ومنه جاءت المقدمة وقدّام وهو نقيض التأخير.

أما في **التنزيل الحكيم**، فقد وردت مشتقات لفظة " قدم " من بينها: يقدم، يستقدمون، قدّمت، تقدّموا لها معان مختلفة حسب السياق الواردة فيه.

ب/ التأخير لغة:

جاء في أساس البلاغة للزمخشري: « أخر جاؤوا عن آخرهم، والنهار يخر عن أخر فأخر، والناس يردلون عن آخر فأخر، والسّتر مثل آخره الرحل.

ومضى قدما وتأخر أخرا وجاء في أخريات الناس (...) جئت أخيرا وبأخرة » [2]

« أخر في أسماء الله تعالى: الآخِرُ، المؤَخِرُ، فالآخر هو الباقي بعد فناء خلقه، والمؤخر هو الذي يؤخر الأشياء فيضعها في مواضعها وهو ضِدُّ المقَدِّمِ، والأُخُرُ ضِدُّ القُدُمِ » [3]

و « التأخير مقابل للتقديم ومؤخر كل شيء بالتشديد خلاف مقدّمة وورد في التنزيل الحكيم قوله تعالى:﴿ **بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ** ﴾ سورة القيامة [الآية 13].

وقوله أيضا: ﴿ **إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ** ﴾ سورة إبراهيم [الآية 42].

[1] الراغب، الأصفهاني. «مفردات ألفاظ القرآن». تح: صفوان عدنان داوودي. ط4. دمشق: دار القلم، 2009، ص 660.

[2] مرجع سابق: الزمخشري. مادة (أخر)، ص 22.

[3] مرجع سابق: ابن منظور. ص 38.

وقوله عز وجل: ﴿**مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ**﴾ سورة الفتح [الآية 02].

وقولهم أبعد الله الأخر أي؛ المتأخر عن الفضيلة وتحري الحق »[1].

كما جاء في **معجم الوسيط** « أخر: تأخر والشيء جعله بعد موضعه والميعاد أجله تأخر عنه: جاء بعده وتقهقر عنه لم يصل إليه » [2]

إن مفهوم التأخير لا يخرج في المعاجم السابقة عن معنى الموقع المؤخر أو المرتبة الأخيرة.

والمؤخر والآخر من أسماء الله الحسنى فالأول يعني أنّ الخلد لله وهو الباقي والدائم بعد فناء كل شيء في هذا الكون، فهو الآخر المتأخر الخالد فيه.

أمّا المؤخر فيعني قدرته عز وجل على تأخير الأمور وتبديل كل شيء فهو بعظمته قادر على تأخير الأشياء ووضعها في أماكنها وهذا دليل على قدرته وعظمته عز وجل ومثاله في تنزيله الحكيم: قال تعالى:﴿ **إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ** ﴾ سورة يس [الآية 82].

فهو المؤخر والمقتدر والقادر على فعل كل شيء.

ولقد وردت لفظة آخر في القرآن الكريم بصور عديدة منها: أخر، يؤخرهم، تأخر...إلخ، وهي لا تخرج في معناها عن المعنى اللغوي الوارد في المعاجم السابقة بمعنى الرتبة الأخيرة.

2- اصطلاحا:

يعدّ التقديم والتأخير ظاهرة لغوية نحوية وبلاغية حظيت بالدراسة والاهتمام من لدن النحويين والبلاغيين وعلى رأسهم "سيبويه" حيث يعرف هذا الأخير هاته الظاهرة في كتابه "الكتاب" والذي يعتبر قرآن النحو، نظرا لقيمته بين جميع الكتب والمؤلفات في هذا المجال (النحو). فهو لا يكاد يخلو من أي موضوع نحوي أو حتى بلاغي إلاّ ودرسه أو أشار إليه، وقد أشار في باب **الفاعل الذي يتعدّاه فعله إلى مفعول** إلى التقديم والتأخير فيقول:

[1] مرجع سابق: الراغب، الأصفهاني. ص 69.

[2] مرجع سابق: مجمع اللغة العربية.ص 08.

« **فإنّ قدّمتَ المفعول وأَخَرّتَ الفاعل جرى اللفظُ كما جرى في الأوّل وذلك قولك:** ضَرَبَ زيْدا عبد الله، **لأنك إنّما أردت به مُؤخَرا ما أَرَدْتَ به مُقَدَّما، ولم تُرد أن تشغل الفعل بأوّل منه وإنْ كان مؤخرا في اللفظ. فمن ثم كان حدُّ اللفظ أنّ يكون فيه مُقَدّما، وهو عربيٌّ جيد كثير، كأنّهم (إنّما) يُقَدّمون الذي بيانه أَهَمُّ لهم وهو بِبَيَانِه أعنى، وإن كانا جميعا يُهِمانهم ويَعْنيانهِمْ**»[1]

يتحدث سيبويه في قوله هذا عن تقديم المفعول به وتأخير الفاعل فإنّهم يقدّمون ما أصله التأخير ويؤخرون ما أصله ورتبته التقديم وذلك أغراض ودواع تهمهم وتعنيهم، فسيبويه في قوله هذا لم يقدم تعريفا صريحا وواضحا للتقديم والتأخير وإنّما قدّم مثالا كافيا وافيا للقارئ حتى يفهم هذه الظاهرة ويعرف أنّ لها أسبابا وأغراض تستدعي حصولها.

والتقديم والتأخير« هو نقل لفظ عن رتبة في نظام الجملة العربية، فرتبة الفاعل قبل المفعول والمبتدأ قبل الخبر، فإذا جاء الكلام على عكس ذلك، قيل: إنّ فيه تقديما وتأخيرا». [2]

ويعرّفه البلاغي "**عبد القاهر الجرجاني**" بقوله: « **هو باب كثير الفوائد، جمّ المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعه، ويفضي بك إلى لطيفه، ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فنجد سبب أنّ راقك ولطف عندك أن قدّم فيه شيء، وحوّل اللفظ عن مكان إلى مكان** ». [3]

و"عبد القاهر الجرجاني" نجده في قوله هذا يعدد مزايا كثيرة للتقديم والتأخير في الكلام والتي لا تزيده إلاّ بلاغة وبيانا، مبيّنا أنّ هذه الظاهرة تحكمها دواع بلاغية تستدعي حصولها فَيُحَوَّلُ اللفظ من مكان إلى مكان آخر.

[1] أبي بشر عمر وبن عثمان بن قنبر، سيبويه. الكتاب. تح: عبد السلام محمد هارون. ط3، ج1، القاهرة. مكتبة الخانجي للنشر، 1988، ص 34.
[2] عبد الله، جاد الكريم. التداولية في الدراسات النحوية: ط1. القاهرة: مكتبة الآداب، 2014، ص 203.
[3] مرجع سابق:عبد القاهر،الجرجاني. ص 106.

ويعرّف أيضا التقديم بأنّه التقديم والتأخير بأنّه أحد أساليب البلاغة، وهو دلالة على التمكن في الفصاحة وحسن التصرف في الكلام، ووضعه في الموضع الذي يقتضيه المعنى.

وقد اختلف البلاغيون في عده من المجاز، فمنهم من عده منه؛ لأنّه تقديم ما رتبته التأخير كالمفعول، وتأخير ما رتبته التقديم كالفاعل، فقد نقل كل واحد منهما عن رتبته وأصله. ومنهم من رأى أنّه ليس من المجاز؛ لأنّ المجاز هو نقل ما وضع له إلى ما لم يوضع له أصلا. [1]

من خلال ما ذكرناه سابقا حول المفهوم الاصطلاحي للتقديم والتأخير نجد: أن هذا الأخير(التقديم والتأخير) ظاهرة لغوية نحوية وأحد الأساليب البلاغية والذي يعتبر مقياسا أساسيا للدلالة على حسن السبك وحسن التحكم في الكلام، ووضعه المعنى الذي يتناسب مع المعنى، فهو كما يقول "عبد القاهر الجرجاني" باب كثير الفوائد، جم المحاسن ما يزيد الكلام بلاغة وبيانا.

المطلب الثاني: جهود النحاة في التقديم والتأخير.

قبل الشروع في ذكر جهود النحاة في التقديم والتأخير، توجّب علينا الإشارة إلى مفهوم علم النحو، وعليه فما المقصود بعلم النحو؟

مفهوم النحو:

لغة: النحو الأصل فيه القصد

جاء في **كتاب العين:** «النحو: القصد نحو الشيء، نَحَوْت نَحوه، أي: قصدت قصده». [2]

ويعرفه "**ابن دريد**" إذ يقول: «ومنه اشتقاق النحو في الكلام كأنّه قصد الصواب» [3]

من خلال التعريفات السابقة نفهم أنّ النحو معناه اللغوي: القصد، فكل من " الخليل " و " ابن دريد " لم يَخْرُجا عن هذا المعنى.

[1] يوسف، أبو العدوس. البلاغة العربية: علم المعاني–علم البيان– علم البديع. ط1، عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع، 2007، ص 97.

[2] الخليل، بن أحمد الفراهيدي. "العين"، تح: عبد الحميد هنداوي. ط1، ج3، بيروت: دار الكتب العلمية، 2003، ص 303.

[3] ابن دريد. "جمهرة اللغة" تح: رمزي منير بلعبكي، ط2، ج1، بيروت: دار العلم للنشر والتوزيع، 1987، ص 575.

اصطلاحا:

يعرفه " **ابن جني** ":« هو انتحاء سّمت كلام العرب في تصرّفه من إعراب وغيره، كالتثنية. والجمع، والتحقير والتكسير والإضافة والنسب والتركيب وغير ذلك؛ ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة فينطق بها، وإنّ لم يكن وإن شذّ بعضهم عنها. ردّ به إليها». [1]

وقد أعطاه "**الفاكهي**" صورته النهائية بقوله: «النحو علم بأصول يُعرف بها أحوال أواخر الكلام إعرابًا وبناءًا». [2]

- **جهود النحاة في التقديم والتأخير:**

«تناول النحاة القدامى مسألة التقديم والتأخير بالدراسة والاستقصاء »[3] ، «ويعدّ أسلوب التقديم والتأخير خاصية من خصائص اللغة العربية وهو أصدق دليل على أهمية الإعراب الذي لولاه لأصبحت العربية لغة جامدة ولفقدت حريتها في التعبير». [4]

لقد تناول النحاة موضوع التقديم والتأخير وأطالوا القول فيه، وأوله عنايتهم واهتمامهم ومن بينهم: [5]

1- سيبويه:

أطنب كثير من العلماء في مدح "سيبويه"، وتقريظ كتابه بكلمات نلمح فيها الإعجاب العظيم لعلمه الرائع الكبير.

يقول "**المازني**" : «من أراد أنّ يعمل كتابا كبيرا في النحو بعد كتاب سيبويه فليستح مما أقدم عليه»[6]

---

[1] ابن جني. الخصائص. تح: عبد الحميد هنداوي. ط1، ج2، بيروت: دار الكتب العلمية، 1983، ص 160.

[2] عبد الله بن أحمد، الفاكهي. شرح كتاب الحدود في النحو. تح: المتولى رمضان أحمد الدميري. دط، القاهرة: دار التضامن للطباعة، 1988، ص ص 51-52.

[3] غادة، أحمد قاسم البوّاب. التقديم والتأخير في المثل العربي دراسة نحوية بلاغة. دط، الأردن: وزارة الثقافة للنشر والتوزيع، 2011، ص 95.

[4] فضل الله، نور علي.« ظاهرة التقديم والتأخير في اللغة العربية». مجلة العلوم والثقافة، العدد 02، مجلد 12، (نوفمبر 2012)، ص 180.

[5] إقبال سر الختم، عبد الباقي وأبا بكر النور زين العابدين، «الأثر التركيبي في دلالة التقديم والتأخير». مجلة العلوم والبحوث الإسلامية، العدد1، مجلد 16، (2015): ص 53.

[6] عبد القادر، البغدادي. خزانة الأدب. تح: عبد السلام هارون. ط3، ج1، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1987، ص 371.

ويقول "**ابن جني**" هو الآخر عنه: «وقد حطب "جمع" بكتابه وهو ألف ورقة علما مبتكرا ووضعا متجاوزا لما يسمع ويرى» [1].

وترجع الأهمية العظمى عند الأقدمين لكتاب "**سيبويه**". «من خلال ما حواه من قواعد نحوية تحتاج لتعلمّها على مرّ العصور، حفاظا على اللغة العربية وسلامتها فإنّه في نظرنا يحوي أيضا تحليلا رائعا وإحساسا دقيقا بفقه اللغة وأساليبها وأسرار تراكيبها. فهو يلاحظ العبارات ويتأملها، ويستنبط خواصها ومعانيها بما وهب من حسّ دقيق مرهف، ولذلك مضى النّاس يأخذون عن الكتاب جيلا بعد جيل، عصرا وراء عصر». [2]

و"**سيبويه**" في صدر كتابه« يحدثنا عن التقديم والتأخير بكلام يعتبر هو العمدة وصاحب الريادة فيه»[3]، « وذكر هذا في باب المسند والمسند إليه حيث قال: «وهما ما لا يغنى واحد منهما عن الآخر، ولا يجد المتكلم منه بدا. فمن ذلك الاسم: المبتدأ والمبنى عليه. وهو قولك: (**عبد الله أخوك**)، و (**هذا أخوك**).

ومثل ذلك: (**يذهب عبد الله**)، فلابد للفعل من الاسم. كما لم يكن للاسم الأول بد من الآخر في الابتداء » [4]

"فسيبويه" «يلفت النظر إلى السّر البلاغي في أثناء معالجة التقديم والتأخير في الكلام، ويشير إلى أهميته ودوره في المعنى، إذ اتخذ من التقديم والتأخير وسيلة للعناية والاهتمام.» [5]

والتقديم عند "سيبويه" ليس للعناية والاهتمام فقط، وإنّما لعلل بلاغية أخرى ومنها:

[1] أبو الفتح عثمان، ابن جني. الخصائص. تح: محمد علي النّجار. ط1، ج2. بيروت: دار الكتب العلمية، 1983، ص 19.
[2] عبد القادر، حسين. المختصر في تاريخ البلاغة. دط، القاهرة: دار الغريب للنشر والتوزيع، 2001. ص 51.
[3] مرجع نفسه، ص 54.
[4] أبي بشر عمرو بن قنبر، سيبويه. الكتاب. تح: عبد السلام هارون، ط3، ج1، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1988، ص 23.
[5] مرجع سابق: غادة أحمد، قاسم البواب. ص 36.

- التقديم في باب "ظن" مثاله: (**عبد الله أظن ذاهب**)
- «التقديم في باب "كسا" وما ينصب مفعولين ليس أصلهما مبتدأ أو خبر يقول: **وإنّ شئت قدمت** وأخرت فقلت: (**كسا الثوب زيد**)، و (**أعطى المال عبد الله**). كما قلت: (**ضرب زيدا عبد الله**) »[1]
- وفي حديثه عن التقديم في " إنّ " يقول : « وأعلم أنّ التقديم والتأخير والعناية والاهتمام هاهنا مثله في باب كان، ومثل ذلك قولك: (**إنّ أسدا في الطريق رابض**) و (**إنّ بالطريق أسدا رابض**). وإنّ شئت جعلت الطريق مستقر». [2]

لقد كان " لسيبويه " الفضل الكبير في الالتفات في بادئ أمره إلى أسلوب التقديم والتأخير وأسراره البلاغية والنحوية. فلقد كتب الكثير من العلماء فيه وعدوه أول عالم لغوي نحوّي، تناول هذه الظاهرة بالاستقصاء والبحث العميق. فالعلماء قبله كانوا يعرفون التقديم والتأخير إلاّ أنهم لم يقف على أسرارها البلاغية والنحوية.

"فسيبويه" اتخذ من التقديم والتأخير وسيلة للعناية والاهتمام. ويرى أنّ الكلام إذا تقدم منه جزء وتأخر جزء آخر كان عربيا جيد. "فسيبويه" بعمله هذا يعدّ من الأوائل النحاة الذين ارتقوا إلى مصاف العلمية. ومازال العلماء يأخذون عن كتابه (الكتاب) حتى يومنا هذا.

2- ابن هشام

نظر العلماء إلى "**ابن هشام**" نظرة فيها الكثير من الإعجاب والتقدير، فقد قال عنه معاصره "**السبكي**": « أنّه كان نحوّي وقته » [3] وقال عنه كذلك "**ابن خلدون**" : «...وصل إلينا بالمغرب لهذا العهد من تأليف رجل من أهل صناعة العربية، من أصل مصر يعرف "ابن هشام"، ظهر من

[1] م ن، ص ن.

[2] م ن ، ص ن.

[3] تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب، السبكي. طبقات الشافعية الكبرى. ط1، ج1، مصر: المطبعة الحسينية المصرية الشهيرة، د ت، ص 23.

كلامه فيها أنّه استولى على غاية من ملكة تلك الصناعة لم تحصل إلاّ "لسيبويه" و "ابن جني" وأهل طبقتهما لعظم ملكته وما أحاط به من أصول ذلك الفنّ وتفاريعه، وحسن تصرفه فيه ». [1]

ترك "ابن هشام" حوالي خمسين كتابا، بعضها فقد فلم يصل إلينا، وبعضها الآخر ما يزال مخطوطا.

تحّدث "ابن هشام" عن التقديم والتأخير، ومن ذلك: [2]

- تقديم الخبر على المبتدأ جوازا أو وجوبا، فالأول نحو: (**في الدار زيد**) وقوله تعالى:﴿**سَلَٰمٌ هِيَ** ﴾ سورة القدر [الآية 05].

والثاني نحو: (**في الدار رجل**)، و(**أين زيد**)

- تقديم المفعول به على الفاعل.
- تقديم الحال على عاملها وعلى صاحبها وغير ذلك، وعزّز ذلك بشواهد من القرآن الكريم والشعر والأمثال العربية.

سار هذا اللغوي مسار "سيبويه" في دراسته لظاهرة التقديم والتأخير، ولقد نال ثناء عظيما وإعجابا كبيرا من قبل العلماء. فقد كان نحويا متفوقا في عصره.

تحدث "ابن هشام" عن تقديم الخبر على المبتدأ وأحصى له عدة حالات وجوبا وجوازا نذكرها على التوالي: [3]

- أن يكون المبتدأ نكرة غير مفيدة لا مسّوغ للابتداء بها والخبر شبه جملة.
- أنّ يكون الخبر اسم استفهام.
- أنّ يكون في المبتدأ ضمير يعود على الخبر.

وتحدث عن تقديم المفعول به على الفاعل، وذكر تقديم الحال على عاملها وعلى صاحبها.

[1] وليّ الدين عبد الرحمان بن محمد، ابن خلدون. مقدمة ابن خلدون. تح: عبد الله محمد درويش. ط1، دمشق: دار يعرب للنشر والتوزيع، 2004، ص 1241.

[2] مرجع سابق: غادة أحمد، قاسم البواب. ص 41.

[3] أبي محمد عبد الله جمال الدين، بن هشام الأنصاري. شرح قطر الندى وبل الصدى. ط4، بيروت–لبنان: دار الكتب العلمية، 2004، ص 120.

بدل "ابن هشام" جهودا عظيمة في ظاهرة التقديم والتأخير حتى راح بعضهم يصفونه حتى أنهم بالغوا في وصفهم هذا وعدّوه متفوقا على "سيبويه". حيث قيل: «**نَسمعَ أَنَّهُ ظَهَرَ بِمصر عَالِمٌ بِالعَربِية، يُقَالُ لَهُ ابِنْ هِشَامُ انحى من " سيبويه"**»

3- ابن جني:

بلغ "**أبي الفتح**" في علوم العربية من الجلالة والخطر، ما لم يبلغه إلا القليل، فقال فيه:« "**ابن ماكولا**": وكان نحويا حاذقا مجودا، وقال أيضا "الثعالبي": هو القطب في لسان العرب. وإليه انتهت الرياسة في الأدب» [1]

«لقد فتح "ابن جني" في العربية أبوابا لم يتسن فتحها لسواه، ووضع أصولا فيه الاشتقاق ومناسبة الألفاظ للمعاني. وغير ذلك فمع حرصه على إتباع من سبقه وتبجيله لهم، لا يبالي أنّ يخالفهم إذا تهدى لرأي لم يقولوا به واستوى له دليله. واستقرت عنده حجته».[2]

ففي فصل التقديم والتأخير يتحدث "ابن جني" في كتابه الخصائص عن تقديم الخبر على المبتدأ وهذا في الجملة الاسمية، أما في الجملة الفعلية فلقد تحدث عن تقديم المفعول على الفاعل. ولقد أشار إلى الكثير من المسائل النحوية التي يحدث فيها التقديم والتأخير، خبر "كان" على اسمها. خبر "إن" على اسمها. تقديم المفعول معه على الفعل...الخ

ولقد قسم التقديم والتأخير على ضربين:

أحدهما: ما يقبل القياس. والآخر: ما يسّهله الاضطرار.

فالأول: كتقديم المفعول على الفعل تارة. وعلى الفعل الناصبة أخرى، (**كضرب زيدًا عمرو**). و (**زيدًا ضرب عمرو**).

- ومما يصيح ويجوز تقديمه خبر المبتدأ على المبتدأ؛ نحو: (**قائم أخوك**) و (**في الدار صاحبك**).

[1] أبو الفتح عثمان ابن جني. الخصائص، تح: محمد علي النّجار، ط1، ج1، بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية،1983،ص 24.
[2] مرجع نفسه. ص 26.

- وكذلك خبر كان وأخواتها على أسمائها، وعليها أنفسها. وكذلك خبر "ليس"؛ نحو: (**زيدا ليس أخوك**).
- ويجوز تقديم المفعول له على الفعل الناصبة؛ نحو قولك: (**طَمعًا في بَرِّكَ زُرْتُكَ**).
- ولا يجوز عنده تقديم المفعول معه على الفعل؛ نحو قولك: (**والطيالسة جَاءَ البَردُ**) [1]

ولقد أشار "ابن جني" إلى ما لا يجوز التقديم والتأخير فيه، والذي عرف فيما بعده بموانع التقديم والتأخير ومنها: [2]

- لا يجوز تقديم الفاعل على الفعل. ولا يجوز تقديم ما أُقِيمَ مقام الفاعل.
- ولا يجوز تقديم الصلة ولا شيء منها على الموصول ولا الصفة على الموصوف، ولا المبدل على المبدل منه، ولا عطف البيان على المعطوف عليه، ولا العطف الذي هو نسق على المعطوف عليه، إلاّ في الواو وحدها وعلى قلته أيضا؛ نحو: (**قام وعمرو زيد**).

إنّ المتأمل في كتاب "ابن جني" الموسوم "بالخصائص" يجده أنّه أورد فصلا سماه: فصل التقديم والتأخير، حيث درس فيه جميع الحالات التي يجوز فيه هذا التقديم. وكذلك الحالات التي لا يجوز فيها التقديم. أشتهر في دراسته هذه بالتدقيق والتفصيل ممّا جعله ينال مرتبة ومكانة رفيعة بين العلماء النحاة.

ناقش "**ابن جني**" مسائل نحوية وصرفية وحتى موضوعات بلاغية. فتحت لمن بعده أبوابا للدراسة والبحث والتقصي، تاركا لهم منبعا علميا معرفيا، يأخذون عنه ويتسلحون به في شتى بحوثهم.

كنا قد تحدثنا سابقا عن جهود النحاة القدامى في دراسة أسلوب التقديم والتأخير. أما فيما يلي سنذكر أهم الجهود التي بدلوها النحاة المحدثين في دراسة هذه الظاهرة ومن بينهم: "إبراهيم أنيس"،" تمام حسان" و"إبراهيم صالح الخلفات"...إلخ.

[1] مرجع سابق: ابن جني. ص 381.
[2] مرجع نفسه. ص 385.

أمّا "**إبراهيم أنيس**" فقد أولى هذه المسألة اهتماما، «ولقد كان "إبراهيم أنيس" يأبى أن يسير مسار البلاغيين وينتهج منهجهم في دراستهم لهذا الأسلوب، وعلى هذا النحو تراه يقف موقفا معارضا لما جاء به البلاغيون من دواع وأغراض للتقديم والتأخير. كالتعجيل والمسرة والتعظيم...»[1]

حيث يقول مبينا رأيه فيهم: «ومن الغريب أنّهم يجعلون هذه الأسباب داعيا من دواعي تقدم المسند»[2]

"فإبراهيم أنيس" بمقام الاستغراب والاستنكار لما جاء به علماء البلاغة، فكيف أوجبه أن ينتقد علماؤنا الذين بهم لا زالت اللغة العربية. لغة حية محافظة على قواعدها وأسسها.

وفي موضع أخر نجده يستغرب من تصرف النحاة في تقديم الحال وتأخيرها وهو في رأيه نوع من الفوضى. وهذا الانتقاد غير بناء إلى حد بعيد، فلقد جعل الله تعالى اللغة العربية لغة القرآن وقداستها من قداسته، ولقد ورد العديد من حالات التقديم والتأخير في القرآن، فكيف لكلام الله عزوجل أنّ يكون فيه نوع من الخلط. وهو معجز بلفظه ومعناه ولم يستطع أيّ أحد الإتيان بمثل ولو آية منه.

نجد أنّ "إبراهيم أنيس" يقف تارة مع وتارة ضد النحاة، ولقد استشهد «-على أنّه لا يجوز تقديم الحال على صاحبها- بخمس عشرة آية من القرآن التزم فيها تأخير الحال عن صاحبها». [3]

ويرى "**تمام حسان**"، أنّ دراسة التقديم والتأخير في البلاغة دراسة لأسلوب التركيب لا للتركيب نفسه، أي أنّها دراسة تتم في نطاقين:

- **أحدهما:** مجال حرية الرتبة. حرية مطلقة.
- **ثانيهما:** مجال الرتبة غير المحفوظة.

وإذن: فلا يتناول التقديم والتأخير البلاغي ما يسمى في النحو باسم الرتبة المحفوظة، لأنّ هذه الرتبة لو اختلت لاختل التركيب باختلالها.

[1] ينظر: غادة أحمد، قاسم البواب. التقديم والتأخير في المثل العربي. دراسة نحوية بلاغية. دط، الأردن: وزارة الثقافة للنشر والتوزيع، 2011، ص 42.

[2] إبراهيم، أنيس. من أسرار اللغة. ط6، القاهرة: مكتبة الأنجلومصرية للطباعة والنشر، 1978، ص 307.

[3] مرجع سابق: غادة أحمد ،قاسم البواب.ص 42.

«ومن هنا تكون الرتبة المحفوظة قرينة لفظية تحدد معنى الأبواب المرتبة». [1]

ويتضح مما تقدم ما يأتي: [2]

1- الرتبة قرينة لفظية وعلاقة بين الجزئين مرتبين من أجزاء السياق يدل موقع كل منهما من الآخر على معناه.

2- أن الرتبة أكثر ورودا مع البنيات منها مع المعربات.

3- أنّ الرتبة بكونها قرينة لفظية تخضع لمطالب أمن اللبس، فقد يؤدي ذلك إلى أنّ تنعكس الرتبة بين الجزئين المرتبين بها. نحو: هذا الفارس (شجاع مثلا)⟺الفارس هذا (شجاع مثلا)

"فتمام حسان" يعدّ هو الآخر من النحاة المحدثين، الذين ذكروا ظاهرة التقديم في مؤلفاتهم منها: اللغة العربية معناها ومبناها وكتاب الأصول. ولقد ربط هذا المبحث بما يسمى بالرتبة المحفوظة عنده. فهو يرى أن التركيب مقيد بهذه الرتبة. التي لو اختلت اختل هو الآخر.

فلقد تحدث عن الرتبة كثيرا، بكونها قرينة لفظية. وهي أيضا ترد في المبنى أكثر من المعرب. والرتبة النحوية وضعت لكن شرط كونها خاضعة لأمن اللبس. فما توصل إليه العلماء المحدثون هو أنّ الرتبة النحوية لابد أن تكون صحيحة تركيبيا، مفيدة معنا (تؤدي معنا مفيدا).

إنّ ما قدمناه سابقا هو عرض لبعض الجهود النحوية لمعالجة مبحث التقديم والتأخير سواء من قبل نحاة قدامى أو محدثين، فكلهم كان هدفهم الأول من هذه الدراسة بالدرجة الأولى الحفاظ على القرآن الكريم من التحريف وكذا اللغة العربية من الدرجة الثانية، فلقد حاولوا ضبط قواعد نحوية لسلامة اللغة والحفاظ عليها من اللحن. وعلى رأسهم العالم النحوي "سيبويه" الذي اتخذ من التقديم والتأخير وسيلة للعناية والاهتمام بالتركيب. فلقد عالج التقديم والتأخير في الكلام، فهو يلفت النظر إلى سر بلاغيّ هام الذي تلقفه علماء النحو والبلاغة من بعده، فناقشوه مؤيدين ومعارضين.

[1] مرجع نفسه. ص 43.

[2] تمام، حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. دط، الدار البيضاء- المغرب: دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1994، ص 209.

فلقد اشتغل علماء النحو القدماء على رصد صور التقديم والتأخير الواجبة والجائزة، ولقد عددنا منهم على سبيل الذكر: "سيبويه-ابن جني- ابن هشام..." ولكن هذا لا ينفي تلك الجهود النحوية العظيمة التي قدمها نحاة آخرون أمثال: "الفراء": الذي تحدث عن التقديم والتأخير في كتابه "معاني القرآن" و "الشافعي" في كتابه "شرح الكافية الشافية" و"المبرد" في كتابه "المقتضب" و"ابن جني " في كتابه "الخصائص" و"ابن فارس" و"الزمخشري" و"ابن يعيش" و"السيوطي"...

فضلا عن هذا لا نغفل تلك الاجتهادات التي قدمّها علماؤنا النحاة المحدثين الذي شرحوا وفصلوا كتب القدامى. وحافظوا على القاعدة حتى أخرجوها إلى الوجود من أمثال: "تمام حسان، إبراهيم أنيس، صالح الخلفات، شوقي ضيف"...الخ.

- **الأسباب النحوية في التقديم والتأخير:**

إنّ للتقديم والتأخير عدة أسباب نحوية، وقبل الشروع في ذكر هذه الأسباب لابد من الوقوف على مفهوم الجملة الاسمية وما تحتويه من عناصر مكونة لها والجملة الفعلية المكونة من فعل وفاعل إذا كان هذا الفعل لازما، وأمّا إذا كان الفعل متعديا فيحتاج إلى مفعول به. ويمكن للجملة أن تحدث فيها ظاهرة النقل، أي نقل لفظ من مكان إلى آخر دون الإخلال بالمعنى، فالأصل في الجملة الاسمية تتكون من المبتدأ والخبر، ولكن يمكن أنّ نقدم ونؤخر فمن شأنه الخبر أن يتقدم على المبتدأ. وكذلك المفعول به في الجملة الفعلية يتقدم على الفاعل.

ومن بين الأسباب النحوية نذكر منها فيما يأتي لاحقا.

- **الجملة الاسمية:**

«تتكون الجملة الاسمية من المبتدأ والخبر، وكلاهما اسم معرب مرفوع، وقد تدخل على الجملة الاسمية نواسخ ك " **كان** " و**أخواتها، و"إنّ" وأخواتها**، فتغير من إعرابها، والأصل في الجملة الاسمية هي ما ابتدأت باسم أو المسند إليه ثم يليه المسند». [1]

[1] عبد الله محمد، النقراط. الشامل في اللغة العربية. ط1، بيروت – لبنان: دار قتيبة للطباعة والنشر، 2003، ص 48.

فالاسمية كما عرفها "**ابن هشام**" هي التي صدرها اسم:«كزيد قائم وهيهات العقيق، وقائم الزيدان».[1]

- **عناصر الجملة الاسمية:**

1- **المبتدأ (المسند إليه)**:«ويسمى محكوما، ويسمى عند علماء المنطق موضوعا»،[2] «وهو موضوع الجملة المخبر عنه [3]وهو الاسم الصريح أو المؤول بالصريح المجرّد من العوامل اللفظية غير الزائدة ويسمى عند أهل المعاني "المسند إليه".

ويكون المبتدأ إمّا: [4]

- اسما صريحا. مثال: **محمد نبيّنا**.

- مصدرا مؤولا. مثال: قوله تعالى:﴿ **وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ** ﴾ سورة البقرة [الآية 184]. ف(أن + تصوموا) مصدر مؤوّل وقع مبتدأ وتقدير الكلام: (صومكم خير لكم)، إن المبتدأ وقع مصدرا مؤولاّ.

2- **الخبر (المسند)**: هو الاسم المرفوع المسند إلى المبتدأ ليتمم فائدته. لأنّ المبتدأ والخبر مرتبطين معا بالإسناد، والأصل في الخبر أن يكون نكرة لأنّه وصف للمبتدأ مثل: (زيد قائم)، فقائم هنا: خبر جاء نكرة فهو يخبّرنا عن حالة زيد. ويسمى محكوما به ويسمى عند علماء المنطق محمولا. أمّا أهل اللغة فلا يقولون في الخبر أكثر من أنّه إعلام تقول: (**أخبرته. أخبره**). أمّا أهل النظر فيقولون: فالخبر ما جاز تصديق قائله أو تكذيبه وهو إفادة المخاطب أمرا في ماض أو مستقبل أو دائم نحو: (**قام زيد**) و (**يقوم زيد**) و (**قائم زيد**) [5]

[1] جمال الدين ابن هشام، الأنصاري. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب. تح: مازن المبارك. ط1، ج2، دمشق: دار الفكر للنشر والتوزيع،د ت، ص 376.

[2] عبد الرحمان، حسن حنبكة الميداني. البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها. ط1، ج1، بيروت: دار الشامية، 1996، ص 140.

[3] سناء، حميد البياتي. قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم. ط1، عمان: دار وائل للنشر والتوزيع، 2003، ص 148.

[4] أحمد، مختار عمرو، مصطفى النحاسي زهران وآخرون. التدريبات اللغوية والقواعد النحوية. ط2، الكويت: جامعة الكويت، 1999، ص 140.

[5] أبي الحسين أحمد، بن فارس بن زكريا. الصاحبي. تح: السيّد أحمد صقر. دط، القاهرة: مطبعة عيسى اليامي الحلبي وشركاه، د ت، ص 289.

والخبر ثلاثة أنواع، وهو قسمان مفرد، وغير مفرد. والمراد بالمفرد ما ليس جملة ولا شبه جملة وهو: [1]

أ/ **الخبر المفرد:** هو ما ليس جملة أو شبه جملة، وإنّ كان مثنى أو جمعا، مثل: **الصديقان مخلصان، المؤمنون إخوة.**

والأصل في الخبر أنّ يكون نكرة. وإذا جاء الخبر معرّف بالألف واللام فيجب أنّ يسبقه ضمير فصل نحو: **محمد** هو الأمين. [2]

ب/ **الخبر الجملة (اسمية أو فعلية):** يأتي الخبر جملة اسمية. من مبتدأ وخبر، ويأتي جملة فعلية أيضا يتكون من فعل وفاعل، يشترط أن تشتمل على ضمير يربطها بالمبتدأ أو اسم إشارة يعود عليه مثل: **النصر موعده قريب** [3]

ج/ **الخبر شبه جملة:** ويكون الخبر شبه جملة من جار ومجرور أو ظرف مثال: **الطلاب في الجامعة.**

في الجامعة: شبه جملة جار ومجرور في محل رفع خبر مبتدأ. [4]

وفي الأخير يمكن القول أنّ الجملة الاسمية تربط بين ركنين أساسيين الأول يسمى المبتدأ والثاني يسمى الخبر. يقومان على علاقة إسنادية يؤديان إفادة، وكل منهما مكمّل للأخر، وهو متلازمان.

هناك حالات تلزم المبتدأ على الخبر وجوبا أو العكس تقديم الخبر على المبتدأ وجوبا. وحتى جوازا وهي على النحو التالي:

1- حالات تقديم المبتدأ على الخبر وجوبا:

يتقدم المبتدأ على الخبر وجوبا في أربع مواضع نذكرها فيما يلي: [5]

[1] محمد بن صالح. العثيمين. شرح الأجرومية. ط1، الرياض: مكتبة الرشد ناشرون، 2005، ص 260.

[2] مرجع سابق: عبد الله محمد، النقراط. ص 51.

[3] عادل، خلف. نحو اللغة العربية. د ط، القاهرة: مكتبة الآداب للنشر والتوزيع، 1994، ص 89.

[4] مرجع سابق: عبد الله محمد، النقراط.ص 53.

[5] مرجع سابق: أحمد ،مختار عمر وآخرون.ص 140.

أ- أن يكون المبتدأ اسم يستحق الصدارة في الكلام:

- **أسماء الاستفهام**، نحو: **من حفظ الدرس؟**
- **أسماء الشرط**، نحو: **من يجتهد ينجح**.
- **كم الخبرية**. نحو: **كم كتابا قرأت؟**
- **ما التعجبية**. نحو: **ما أجمل الربيع!**
- **ضمير الشأن**. نحو: قال تعالى:﴿ **قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ** ﴾ سورة الإخلاص [الآية 01]. ، قدم ضمير الشأن (هو) لإفادة معنى التفخيم والتعظيم.

ب- **أنّ يكون المبتدأ مقترن ب"لام الابتداء"** [1]

قال تعالى:﴿ **وَلَأَمَةٞ مُّؤۡمِنَةٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكَةٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡۗ** ﴾ سورة البقرة [الآية 221].

فأمة: مبتدأ مرفوع واجب التقديم بسبب سبقه بلام الابتداء التي لها الصدارة في الكلام.

ج- **إذا تساوى المبتدأ والخبر في التعريف والتنكير** [2] مثال قولك: **صديقي شريكي**.

د- **إذا حصر المبتدأ بالخبر** [3] نحو قوله تعالى:﴿ **وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٞ** ﴾ سورة الملك [الآية 26].

2- حالات تقديم الخبر على المبتدأ وجوبا:

الأصل في الجملة الاسمية أن يتقدم المبتدأ ويتأخر الخبر، ولكن يجب تقديم الخبر على المبتدأ في حالات بعينها:

يقول "ابن مالك" في هذا الصدد:

[1] هادي، نهر. الإتقان في النحو وإعراب القرآن. ط1، مجلد 01، إربد: عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، 2010، ص 248.

[2] علي، أبو المكارم. الجملة الاسمية، ط1، القاهرة: مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، 2007، ص 54.

[3] مرجع سابق: هادي، نهر. ص 247.

والأصل في الأخبار أن تؤخرا وجوزوا التقديم إذ لا ضرر [1]

أ- أن يكون المبتدأ نكرة والخبر شبه جملة.[2] نحو: **عندي فكرة**.

ب- أن يكون المبتدأ يشتمل على ضمير يعود على الخبر أو جزء منه، نحو:(**في المنزل صاحبه**)[3]

ج- أن يكون الخبر له الصدارة في الجملة. وذلك إن كان اسم استفهام. نحو: أين العدالة في الدنيا، وكيف السبيل إليها.[4]

د- أنّ يكون الخبر محصورا في المبتدأ. نحو: **وما محمد إلا رسول**. ونحو ذلك: **إنّما في الكلية عليّ**.[5]

هـ- أن يكون الخبر شبه جملة والمبتدأ نكرة. (**في العدوّ جهالة**).[6]

- **الجملة الفعلية:**

يعرّف النحويون الجملة الفعلية بأنّها الجملة " المصدرة بفعل "، [7] فالأصل في الجملة الفعلية أنها أنها تتكون من ركنين أساسيين هما: الفعل والفاعل، ولقد عرفّها الباحث "**جرجي شاهين**" بقوله:« تتكون الجملة الفعلية من فعل وفاعل، وقد تمتد إلى مفعول به أو بعض متعلقات الفعل»،[8] فالأصل في الجملة الفعلية تتكون من الفعل والفاعل .[9] ولكن هناك حالات يقتضي فيها الخروج عن القاعدة الأصلية فيتقدم المفعول به على الفعل والفاعل، وفي هذا المبحث سنتطرق إلى حالات تقدم المفعول به على الفاعل وجوبا من جهة، وتقدمه على الفعل والفاعل معا من جهة أخرى.

[1] محمد ابن عبد الله بن مالك، الأندلسي. الألفية. دط، بيروت – لبنان: المكتبة الشعبية، د ت، ص 227.

[2] سليمان، فيّاض. النحو العصري. دط، القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، د ت، ص 94.

[3] أحمد مختار عمرو مصطفى النحاس وآخرون. النحو الأساسي. ط4، الكويت: منشورات ذات السلاسل، 1994، ص 340.

[4] محمد، عيد. النحو المصفى. دط، القاهرة: مكتبة الشباب ناشرون، د ت، ص 228.

[5] محمد سليمان، ياقوت. النحو التعليمي والتطبيق في القرآن الكريم.دط، الكويت: مكتبة المنار الإسلامية، 1996، ص 297.

[6] مرجع سابق: أحمد،مختار عمرو مصطفى النحاس زهران وآخرون.ص 340.

[7] علي، أبو المكارم. الجملة الفعلية. ط1، القاهرة: مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، 2007، ص 29.

[8] جورجي شاهين، عطية. سلم اللسان في الصرف والنحو والبيان. ط4، بيروت: دار الريحاني للنشر والتوزيع، د ت، ص 8.

[9] مصطفى، الغلاييني. جامع الدروس العربية. دط، ج3، صيدا – بيروت: منشورات المكتبة العصرية، 1912، ص 284.

- **عناصر الجملة الفعلية:**

الجملة الفعلية مكونة من:

الفعل: هو ما دل على معنى في نفسه، مقترن وضعا بأحد الأزمنة الثلاثة الماضي، الحال والاستقبال.[1]

والاستقبال.[1]

الفاعل: اسم مرفوع، وهو الذي يفعل الفعل، وحكمه في العربية وهو لا يكون جملة، بل لابّد أنّ يكون كلمة واحدة. وهذه الكلمة إمّا أنّ تكون اسما صريحا أو مصدرا مؤولا مثال:**قام زيد**

قام: فعل ماض

زيد: فاعل مرفوع بالضمة.

ومثال المصدر المؤول قولك: **يسعدني أن تزورني**

يسعدني= فعل + فاعل + مفعول به.

أن
تزورني } مصدر مؤول في محل رفع فاعل. وتقدير الكلام: **تسعدني زيارتك** [2]

ففي الأخير نقول أن الجملة الفعلية تتكون من ركنين أساسيين هما: الفعل (المسند) والفاعل (المسند إليه). أمّا إذا كان هذا الفعل متعديا فهو يحتاج إلى منصوبه وهو المفعول به لتصبح الجملة مكونة من: فعل وفاعل ومفعول به. هذا الأخير يعرّف بأنّه اسم منصوب وقع عليه فعل الفاعل.

[1] مرجع سابق: جرجي، شاهين. ص 8.

[2] عبده، الراجحي. التطبيق النحوي. ط1، عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع، 2008، ص 192.

1- حالات تقديم الفاعل على المفعول:[1]

أ- إذا وقع لبس. نحو: **صافح عمّي أبي.**

ب-إذا كان المفعول به محصورا، نحو: **ما ضربت إلا زيدا.**[2]

ج- إذا كان الفاعل ضميرا متصلا. نحو: **وقعنا المعاهدة.**

2- حالات تقديم المفعول به على الفاعل وجوبا:

ويكون في ثلاث مواضع:

أ- أنّ يتصل الفاعل بضمير يعود على المفعول نحو: أحب الوطن أهله. [3] ، وقوله تعالى: ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡ﴾ سورة غافر [الآية 52].

ب- أنّ يكون الفاعل محصورا بإنما و إلا ، نحو: إنّما يقدّس الحرية الأحرار. فالحرّية: مفعول به تقدّم عن فاعله الأحرار.

ومثال الحصر ب " إلا " : **لا يبغض الكرم إلاّ اللوماء.**[4]

ج- إذا كان المفعول ضميرا متصلا والفاعل اسما ظاهرا. نحو: **كافأني والداي.**[5]

3- حالات تقديم المفعول به على الفعل والفاعل معا:

يتقدم المفعول به على فعله وفاعله وجوبا في ثلاثة مواضع هي:

[1] صالح، بلعيد. الصرف والنحو. دط، الجزائر: دار هومة للطباعة والنشر، 2003، ص 164.

[2] عبد الهادي، العدل. دراسة تفصيلية شاملة لبلاغة عبد القهار في التشبيه والتمثيل، التقديم والتأخير. دط، بيروت: دار الفكر الحديث للطباعة والنشر، 1999، ص 273.

[3] مرجع سابق: محمد، عيد. ص 407.

[4] م ن، ص ن.

[5] عباس، حسن. النحو الوافي. ط3، ج2، القاهرة: دار العلوم، 1974، ص 88.

أ/ إذا كان المفعول به ضمير منفصل [1] نحو: قوله تعالى:﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ سورة الفاتحة [الآية 5].

ب/ إذا كان المفعول به من أسماء الصدارة في الكلام، [2] كأسماء الاستفهام وأسماء الشرط مثال: **كم كتابا قرأت، و من تكرم يكرمك.**

ج/ أن يكون منصوبا بجواب "أما" المقرون بفاء الجزاء وليس لهذا الجواب منصوبا مقدما غيره، [3] نحو: قوله تعالى:﴿ **فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ** ﴾ سورة الضحى [الآية9].

- **النواسخ:**

1– كان وأخواتها.

هي أفعال باتفاق النحاة إلاّ "ليس"، وتدخل على الجملة الاسمية (المبتدأ والخبر). فترفع الأول ويسمى اسمها وتنصب الثاني ويسمى خبرها. [4]

نحو: قوله تعالى: ﴿**كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً**﴾ سورة البقرة [الآية 213].

وقولك كذلك: كان عمرو عادلا. [5]، وهذه الأفعال الناقصة قسمان: [6]

أ– منها ما يعمل هذا العمل بلا شرط وهي: **كان، ظلّ، بات، أضحى، أصبح، أمسى، صار وليس.**

[1] مرجع سابق: سليمان، فياض. ص 122.

[2] عبد الله محمد، النقراط. الشامل في اللغة العربية. ط1، بيروت–لبنان: دار قتيبة للطباعة والنشر، 2003، ص 82.

[3] مرجع سابق: عبد الله محمد، النقراط. ص 82.

[4] جوزيف، إلياس وجرجس ناصيف. الوجيز في الصرف والنحو والإعراب. دط، بيروت– لبنان: دار العلم للملايين، د ت، ص 257.

[5] أحمد، الهاشمي. القواعد الأساسية للغة العربية. دط، بيروت– لبنان: دار الفكر للنشر والتوزيع، د ت، ص 143.

[6] بهاء الدين عبد الله، ابن عقيل. شرح ابن عقيل. ط20، ج1، القاهرة: دار التراث للنشر والتوزيع، 1980، ص 267.

ب– ومنها ما لا يعمل هذا العمل إلاّ بشروط وهو قسمان:

- **أحدهما:** ما يشترط في عمله أن يسبقه نفي لفظا وتقديرا وشبه نفي وهو أربعة: **زال، فتئ، انفك، برح.**
- **ثانيهما:** ما يشترط في عمله أنّ يسبقه "ما" المصدرية الظرفية وهو: دام ، كما في قوله تعالى:

﴿ وَأَوْصَنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ سورة مريم [الآية 31].

كان وأخواتها على ثلاثة أقسام وهي: [1]

- **الناقصة:** وهي ترفع الأول اسما لها وتنصب الثاني خبرا لها.
- **التامة:** وهي التي تكتفي بمرفوعها وتكون بمعنى وجد.
- **الزائدة:** وهي التي لم يؤت بها للإسناد، لها معان عدة: التوكيد. الدلالة على الزمن الماضي.

إنّ رتبة اسم "كان" وأخواتها التوسط بين الفعل الناقص وخبره، ويعّد هذا الترتيب جائزا ما لم يمنع مانع يوجب فيه التزام الترتيب،[2] فكما قلنا أنّ كان وأخواتها تدخل على الجملة الاسمية والأصل أنّ يكون ترتيبها على الشكل الموالي: (**الناسخ+الاسم+الخبر**). لكن هذا لا ينفي من أن يتقدم أحد الركنين ويغير من ترتيب الجملة الأصلي، فيكون على سبيل المثال على الشكل التالي: (**الناسخ+الخبر+الاسم**). فإنّ تقدم الخبر على الاسم كان ذلك لأسباب نحوية تستدعي ذلك التقديم مع مراعاة السلامة النحوية والسلامة المعنوية وفيما يلي عرض لأهم الحالات التي يتقدم فيها خبر "كان" على اسمها:

[1] أحمد، بن القطان. رسالة في كان الناقصة. تح: خليل ابراهيم السمرائي. دط، بغداد: بغداد المحروسة للنشر، 2011، ص 429.

[2] ابن مالك. شرح تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد. ط1، ج1، تح: محمد عبد القادر عطا، قادر فتحي السيّد، بيروت– لبنان: دار الكتب العلمية، 2001، ص 332.

✓ **حالات تقديم خبر " كان " على اسمها:**

يقول في هذا الصدد "ابن جني" : « ويجوز تقديم أخبار كان وأخواتها على أسمائها وعليها أنفسها وتقول: (**كان قائما زيد**)، و (**قائما كان زيد**) وكذلك (**ليس قائما زيد**) و (**قائما ليس زيد**) »[1]

وقال ابن الخبّاز : « ويجوز تقديم أخبار كان وأخواتها على أسمائها، لأنها أخبار والأخبار مشبهات بالمفعول. فكما يجوز تقديم المفعول على الفاعل يجوز تقديم الخبر على الاسم.[2] قال تعالى:﴿ **وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ سورة الروم [الآية 47].

إنّ رتبة خبر كان وأخواتها التأخر عن الناسخ واسمه، إلاّ أنّ هذا الترتيب قد لا يلتزم، كما أشرنا سابقا في قول كلّ من "ابن جني" و "ابن الخباز"، فيتقدم الخبر عند النحويين وجوبا في المواضع الآتية:

أ- **إذا كان الخبر من الأسماء التي لها الصدارة في الكلام**. من ذلك أسماء الاستفهام (**كيف**)، مثال: **قوله الإمام علي عليه السلام وقد قيل له: (كيف تجدك يا أمير المؤمنين)**. قال: (**كيف يكون حال من يفنى ببقائه، ويسقم بصحته ويؤتى من مأمنه**).

فاسم الاستفهام (كيف) كان واجب التقديم على النّاسخ واسمه (يكون حال من يفنى ببقائه). لأنّ أسماء الاستفهام لها الصدارة في الكلام.[3]

ب- أن يضاف للاسم ضمير يعود إلى شيء في الخبر. نحو: (**كان خائن الأمانة حارسها**)، ومثال: (**ليس مكان الديار أصحابها**).[4]

[1] ابن جني . الخصائص. تح: محمد علي النجار. ط1، ج2، بيروت: المكتبة العلمية، 1983،ص 382.

[2] أحمد، بن الحسين بن الخبّاز. توجيه اللمع. تح: فايز زكي محمد دياب. ط1، القاهرة- مصر: دار السلام للطباعة والنشر، 2002، ص ص 138-139.

[3] مرجع سابق: عبد علي، حسين صالح. ص 125.

[4] علي، أبو المكارم. الجملة الاسمية. ط1، القاهرة: مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، 2007، ص 90.

ج- إذا كان الاسم محصورا في الخبر [1]، كقوله تعالى:﴿ **وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً** ﴾ سورة الأنفال [الآية 35].

د- إذا كان الخبر تركيبا اسناديا، أي جملة بأنواعها الثلاثة (**جملة اسمية، فعلية، وشبه جملة**). مثال هذا: (**كان زيد أبوه مسافر**)، وقولك (**كان زيد يمر به عمرو**) [2]

2- إنّ وأخواتها:

وتسمى الحروف المشبهة بالأفعال وهي: (**إنّ**) و (**أنّ**) للتوكيد و (**كأنّ**) للتشبيه و (**ليت**) للتمنيّ و (**لعل**) للترجي و (**لكن**) للاستدراك.

تدخل هذه الستة على المبتدأ والخبر، فتنصب الأول ويسمى اسمها وترفع الثاني ويسمى خبرها. [3]

مثال: قوله تعالى:﴿ **إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ** ﴾ سورة طه [الآية 15].

وقوله تعالى: ﴿**وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ**﴾ سورة البقرة [الآية 196].

وقوله تعالى: ﴿**كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ**﴾ سورة المنافقون [الآية 4].

اختلف النحويون في عدد هذه الحروف، فيرى بعضهم أنها: خمسة وهي: "إنّ"،"لكن"،"ليت"،"لعل"، وعدوا "أنّ" مفتوحة الهمزة فرعا ل"إن" مكسورة الهمزة.

وعدها أكثر النحويين ستة باعتبار "أنّ" واحدة منها، ومنهم من عدّها سبعة أحرف بإضافة " لا " النافية للجنس.[4]

[1] المرجع نفسه. ص 91.

[2] عبده، الراجحي. التطبيق النحوي. ط1، عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع، 2008، ص 145.

[3] فاضل، صالح السمرائي. معاني النحو. ط1، عمان: دار الفكر للطباعة والنشر، 2000، ص 285.

[4] بدر الدين، العيني. "نواسخ الجملة الاسمية في شرح سنن أبي داوود". مجلة كلية العلوم الإسلامية، العدد39، (30 أيلول 2014): ص 28.

✓ **حالات تقديم خبر "إنّ" وأخواتها على اسمها:**

يتقدم خبر " **إنّ** " وأخواتها على اسمها في المواضع التالية:

أ- إذا كان الخبر شبه جملة (جار ومجرور) أو (ظرف) [1] نحو قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا**﴾ سورة الشرح، [الآية 6].فهناك:

إنّ: حرف مشبه بالفعل.

مع: حرف جر } وشبه الجملة جار ومجرور (**مع العسر**) في محل رفع خبر "إن"

العسر: اسم مجرور }

ونحو قوله تعالى:ِ﴿**إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم**﴾ سورة الغاشية [الآية 25-26].

ف **إنّ:** حرف توكيد مشبه بالفعل.

إلينا: شبه جملة (جار ومجرور) في محل رفع خبر " إنّ " مقدم وجوبا

إيابهم: إيّاب: اسم "أنّ" منصوب مؤخر وهو مضاف والضمير (هم) في محل جر المضاف إليه.

ب- إذا كان الخبر شبه جملة والاسم متصل بضمير يعود على شيء في الخبر نحو: **(إنّ أمام المريض أولاده).**

أولاده: اسم " إنّ " منصوب مؤخر وجوبا لاتصاله بضمير يعود على (المريض) الذي هو جزء من الخبر. [2]

إنّ ضابط تقديم وتأخير خبر " إنّ " وإحدى أخواتها على اسمها يحكمه الظرفية أو شبه الجملة وإلاّ فلا يجوز أن يقدم الخبر على الاسم لأنّها حروف، والحروف لا تعمل فيما قبلها.

[1] محمود، أحمد السيّد. أساسيات القواعد النحوية. مصطلحا وتطبيقا. ط3، دمشق: منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، 2011، ص 204.

[2] محمود حسني، مغالسة. النحو الشافي. ط3، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، 1997، ص 237.

- **تنبيهات:**

– تدخل "**ما" الزائدة** على "إنّ" وأخواتها فتبطل عملها نحو: (**إنما خالد حاضر**)

فما: كافة مكفوفة.

خالد: مبتدأ مرفوع.

حاضر: خبر المبتدأ مرفوع.

– تدخل **لام المبتدأ** على خبر "إن" **لإفادة التوكيد**. نحو: (**إنّ الحاكم ليعدل بين الرعيّة**).

وقال تعالى: ﴿ **تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ**﴾ سورة يوسف [الآية 95].

– وتدخل هذه اللام على اسم "إنّ" إذا تأخر اسمها عن خبرها.

نحو قوله تعالى: ﴿ **وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً**﴾ سورة النحل [الآية 66].

اللام: لام الابتداء

عبرة: اسم " إنّ " منصوب وعلامة نصبه الفتحة. [1]

المبحث الثاني: التقديم والتأخير في الدراسات البلاغية

المطلب الأول: جهود البلاغيين في التقديم والتأخير:

أولا لابدّ من الإشارة إلى مفهوم البلاغة في هذا المبحث لكن سبّق وأنّ ذكرنا في الفصل الأول حدّ البلاغة في مبحث علاقة التداولية بالبلاغة فلا داع للتكرار وإنّما سنشير إلى مفهومها باختصار وهي:

- **البلاغة عند ابن المقنع:** « البلاغة اسم يجري في وجوه كثيرة منها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون شعرا، ومنها ما يكون سجعا، ومنها ما يكون

[1] جمعة محمد علوة وآخرون. اللغة العربية: دراسة نظرية وتطبيقية. د ط، إربد– الأردن: دار الكندي للنشر والتوزيع، 2001، ص ص 79–78.

خطابا، فعامة ما يكون من هذه الأبواب فالوحي فيها، والإشارة إلى المعنى أبلغ والإيجاز هو البلاغة »[1]

- **البلاغة عند القزويني**: يقول صاحب " التلخيص " في تعريفها:

« البلاغة في الكلام مطابقة لمقتضى الحال مع فصاحته. فالبلاغة راجعة إلى اللفظ باعتبار إفادته المعنى بالتركيب » [2]

- **البلاغة عند الراغب الأصفهاني**: يرى أنّ البلاغة تكون في الكلام والمتكلم يقال: كلام فصيح، ومتكلم فصيح، يقال كلام بليغ، ومتكلم بليغ، وأنّ بلاغة الكلام عنده لابدّ من أن تستجمع أمورا ثلاثة:
  - **أولها**: صحة اللغة وصوابها: أيّ سلامة الألفاظ من العيوب.
  - **ثانيهما**: أن يكون المعنى المقصود للمتكلم مطابقا ومنسجما مع الألفاظ.
  - **ثالثهما**: أنّ يكون صادقا في نفسه. [3]
- **البلاغة عند أبو هلال العسكري**: استعان "أبو هلال العسكري" لفهم مصطلح البلاغة عندما ذكر سبب السمية قائلا: « سميت البلاغة بلاغة لأنها تنهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه »[4]

اللغة العربية ذات علوم كثيرة تنتسب إليها. تتفرع منها، وتنبثق عنها. وكل علم له شأنه والحاجة الماسّة الداعية إليه. فكل علم له دوره الذي يقوم به وفائدته الجلية والجمالية التي تستفاد منه، ومن بين علوم اللغة: البلاغة: ذلك العلم الذي لا يمكن أنّ نغفل مزاياه وما قدم للغة العربية، درس فنونها وأفنانها وتعمق في جوهرها.

[1] أحمد، الهاشمي. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع. تح: يوسف الصميلي. دط، صيدا–بيروت: المكتبة العصرية للنشر والتوزيع، دت، ص 40.
[2] فضل، عباس. البلاغة فنونها وأفنانها. ط4، أربد– الأردن: دار الفرقان للنشر والتوزيع، 1997، ص 58.
[3] الراغب، الأصفهاني. مفردات ألفاظ القرآن. تح: صفوان عدنان داودي، ط4، دمشق: دار القلم، 2009، ص 60.
[4] الحسن بن عبد الله بن سعيد بن يحي بن مهران، أبو هلال العسكري. الصناعتين. دط، القاهرة، 1971، ص 06.

فالبلاغة هي التي تمكن المتكلم بأنّ يأسر المخاطبين حينما يخترق بيانه وأسلوبه ألبابهم وقلوبهم، فالبلاغة سميت حقا بلاغة كما قال أبو هلال العسكري لأنها تنهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه، وتنقسم البلاغة إلى ثلاثة أقسام: علم البيان، علم المعاني، علم البديع.

وإنّ مدار حديثنا عن " علم المعاني " في هذا المطلب، فكيف ربط البلاغيون مبحث التقديم والتأخير بالبلاغة عموما وعلم المعاني خاصة وفيما تبرز جهود البلاغيين في ظاهرة التقديم والتأخير؟ وما هي الدواعي والأغراض البلاغية لهذا الأسلوب؟

- **جهود البلاغيين في التقديم والتأخير:**

✓ **عبد القاهر الجرجاني:**

لا يكاد يخلو كتاب من كتب البلاغة والنحو، إلاّ وأشار إلى ذلك الجهد العظيم الذي بدله "عبد القاهر الجرجاني" من خلال نظرية النظم؛ التي تقوم في جوهرها على اللفظ والمعنى.

ولقد اخترنا في هذا المبحث، نموذج شامل وافي يلخص ظاهرة التقديم والتأخير عند البلاغيين بصفة عامة قدامى ومحدثين، هو "عبد القاهر الجرجاني". يعد هذا الأخير الأب الشرعي للبلاغة لهذا السبب أخذناه مثالا للدراسة. فالبلاغة عنده وصلت مرحلة قمة النضج والاكتمال. ولا يمكن أنّ نغفل مدى اهتمامه بظاهرة التقديم والتأخير، فلقد أورد فصلا في كتابه "دلائل الإعجاز" تحت عنوان: فصل القول في التقديم والتأخير. وتحدث كذلك عن هذا المبحث في كتابه " أسرار البلاغة ".

يتحدث "عبد القاهر الجرجاني" عن فائدة التقديم والتأخير في اللغة العربية فيقول:« هو باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفترّ لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أنّ راقك ولطف عندك، أن قدم فيه شيء، وحول اللفظ عن مكان إلى مكان ». [1]

[1] أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد، الجرجاني. دلائل الإعجاز. د ط، القاهرة: مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، د ت، ص 106.

نظر "عبد القاهر الجرجاني" نظرة شاملة للتقديم والتأخير، فقد بين التقديم والتأخير بين الاسم والفعل في الاستفهام بأنواعه، وفي النفي. كما بينه في الخبر المثبت والخبر المنفي، كذلك بين تقديم المفعول والجار والمجرور، وتقديم مثل وغير. كما بين متى يفيد تقديم الاسم على الفعل لغرض التخصيص أو التقوى...، ثم ختم بحثه ببيان الفرق بين تقديم أداة العموم على السلب وتأخيرها عنه. مع ذكر الأثر الذي يحدثه التقديم والتأخير في التعبير.[1]

قسم "عبد القاهر الجرجاني" التقديم والتأخير وجعله على وجهين: [2]

1- **تقديم على نية التأخير**: وذلك أن يظل المقدم على حكمه النحوي كأنه أخر. ومثال ذلك أمران:[3]

- **تقديم الخبر على المبتدأ**. كقولك: **(منطلق زيد)**
- **تقديم المفعول على الفاعل** كقولك: **(ضرب عمرا زيد)** فيظل عمرا مفعول به منصوب وإنّ تقدم على الفاعل.

2- تقديم لا على نية التأخير: وفي هذا النوع ينتقل حكم المقدم إلى غير حكم ويختلف إعرابه ومن أمثلته: [4]

- تساوي المبتدأ والخبر في التعريف والتنكير.

وذكر "الجرجاني" بعض المسائل التي لا يستطيع أحد أن يمتنع من التفرقة بين التقديم ما قدم فيها وترك تقديمه، ومن أبين شيء في ذلك نجد: [5]

[1] عبد العاطي غريب، علي علاّم. البلاغة العربية بين الناقدين الخالدين. ط1، بيروت: دار الجيل للطباعة والنشر، 1993، ص 138.
[2] محمد، عبد المطلب. البلاغة العربية، قراءة أخرى. ط2، القاهرة: شركة أبو الهول للنشر والتوزيع، د ت، ص 236.
[3] مي إليان، الأحمر. التقديم والتأخير بين النحو والبلاغة. د ط، بيروت-لبنان: الجامعة الأمريكية، 2001، ص 65.
[4] مرجع سابق: مي إليان، الأحمر . ص 66.
[5] مرجع سابق: عبد القاهر، الجرجاني. ص 111.

1- الاستفهام بالهمزة: إنّ معنى الجملة الاستفهامية يختلف إذا كان الفعل ماض أو مضارع. إذ لكل جملة استفهامية دلالة ومعنى مختلفين بحسب الفعل المستخدم[1] فلقد درس في كتابه جميع أنواع الاستفهام وربطها حسب الفعل المستخدم في الجملة: كالاستفهام الدال على الإنكار وغيرها.

2- النفي: تحدث عبد القاهر عن تقديم الفعل أو الفاعل في النفي، فإذا أردت نفي الفعل قدمته وقلت: (**ما قلت هذا**) بمعنى أنّ فعل القول غير مثبت في ذاته.

أمّا إذا أردت نفي الاسم حددّته وقدمته فقلت: (**ما أنا قلت هذا**)، بمعنى أنّ أحد غيرك قال هذا. [2]

وذكر عبد القاهر الجرجاني مسألة التقديم في النفي. قد يكون المتقدم والمتأخر فيها يا إما: فعلا أو فاعلا أو مفعول (أيّ الجملة الفعلية). وقد يكون في الجار والمجرور، وقد يكون في المبتدأ. [3]

3- الإثبات: تتشابه أحوال الجملة الاستفهامية والمنفية. وأحوال الجملة المثبتة؛ [4]فإذا عمدت إلى الذي أردت أن تحدث عنه بفعل، فقدمت ذكره، ثم بنيت الفعل عليه، فقلت: (**زيد قد فعل**) و (**أنا فعلت**) و (**أنت فعلت**): اقتضى ذلك أن يكون القصد إلى الفاعل.

قد توسع "عبد القاهر الجرجاني" في هذه المسائل، إلاّ أننا قدمنا ثلاثة مسائل متماثلة: في **الاستفهام، النفي، الإثبات،** ومن بين المسائل التي ذكرها في كتابه: التقديم في مثل وغير، النكرة والحال.

تنبّه "عبد القاهر الجرجاني" إلى ظاهرة التقديم والتأخير وأعطاها حقها من الدراسة حتى أنك تجد من بعده لم يضف إلا القليل حتى أنهم أخذوا يشرحون ويفصلون ما توصل إليه هذا العالم البلاغيّ.

[1] مرجع سابق: مي إليان، الأحمر. ص 69.
[2] مرجع نفسه. ص 77.
[3] ينظر: مرجع سابق: عبد القاهر، الجرجاني. ص 126.
[4] مرجع سابق: مي إليان، الأحمر. ص 80.

فيعود الفضل إلى "عبد القاهر الجرجاني" في وضع تقسيمات للتقديم والتأخير حيث جعله على وجهين: تقديم على نية التأخير، وتقديم لا على نية التأخير.

فمن كلّ هذا وذاك يبقى "عبد القاهر الجرجاني"، إمام هذه النظرية (نظرية النظم)، وأول من توسع فيها ودرسها من شتى الجوانب ويشير إلى أن "سيبويه" أراد بالتقديم والتأخير تلك وسيلة للعناية والاهتمام، إلا أن "عبد القاهر الجرجاني"، فهو يرى أنّه ليس بالضرورة أنّ كما قال "سيبويه" وإنّما تتعلق بالتركيب النحوي الصحيح الذي يدور حول ترتيب المفردات في الجمل حسب موقعها، وهذا الموقع يعتمد على المعنى.[1]

تحدث البلاغيون المحدثين عن التقديم والتأخير وربطوه بالمعنى، وأشاروا إلى أنّ تقديم المسند على المسند إليه يعود إلى دوافع وأغراض بلاغية يقتضيها السياق ومن بين هؤلاء العلماء: "عبد العزيز عتيق، رجاء عيد وأحمد مصطفى المراغي"...وغيرها.

"عبد العزيز عتيق" انتهج منهج البلغاء القدامى في وضع الأغراض البلاغية التي يقتضيها التقديم والتأخير، ولقد أشار في كتابه " في البلاغة العربية " إلى هذه المسألة وربطها بمفهوم الكلام الذي في مفهومه أنه عبارة عن: كلمات وأجزاء لا ينطقها الإنسان دفعة واحدة، من أجل ذلك كان لابدّ عند التلفظ بها من تقديم جزء منها وتأخير الجزء الآخر.[2]

وقد تحدث عن تقديم المبتدأ والخبر، فهو يرى أنه لا وجود لداع لتقديم إحدى ركني الجملة، حيث ينفي وجود غرض تخصيص المسند أو المسند إليه، حيث يبرر هذا من باب أن تقدم المبتدأ في الجملة يستلزم تأخر الخبر، كونهما متلازمان. [3]

[1] مرجع سابق: مي إليان، الأحمر. ص 24.

[2] ينظر: مرجع سابق: غادة أحمد، قاسم البواب. ص 49.

[3] عبد العزيز، عتيق. في البلاغة العربية، علم المعاني. ط1، بيروت–لبنان: دار النهضة العربية، 2009، ص 147.

أمّا "رجاء عيد" فتناول هذا البلاغي ظاهرة التقديم والتأخير من المنظور البلاغي في كتابه "فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور".

فقد أشار إلى تقديم الفاعل على الفعل، وتقدم الخبر عن مبتدئه، ولكن ينبه إلى الخطورة التي تكمن في تحديد أسباب التقديم وتقنينها في النماذج لا تخدم تماما وجهة نظر البلاغيين. [1]

فهو تحدث عن الجملة العربية. ومن وجهة نظره يرى أنّ الجملة قد تتسم بصفة العدول، وتخرج عن النمط التركيبي المعتاد الذي قننه النحاة الأوائل، وهذا العدول يعود لغرض بلاغي، ودافع يقتضيه المعنى ويحققه التركيب.

والتقديم والتأخير عند "رجاء عيد" يرجع إلى فنية الأديب، حيث يعتبر هذا الأخير فن أدبي متشابك مع حسّه الشعوري واللاشعوري. فعادة ما نجد الأديب يكتب نصا يتخلله التقديم والتأخير في بعض مفرداته مراعيا حالته النفسية من حب وكره...الخ، أو يكتبه لا شعوريا أي موضوعيا بعيدا عن الذات والأحاسيس، وهذه الفنية المتماشية والحسّ هي التي تدخل في التركيب اللغوي للعبارة. [2]

سبق وأن ذكرنا أهم الجهود والأعمال التي قدّمها علماء البلاغة حول ظاهرة التقديم والتأخير، حيث أشار كل واحد منهم إلى دواع بلاغية وأسباب تفيد المعنى وتزيده قوة ووضوحا ويعد عبد القاهر الجرجاني من زعماء البلاغة الذين غاصوا في أسرار هذه الظاهرة حيث ربطها بنظرية النظم وهذا من خلال كتابه دلائل الإعجاز وكذلك كتاب أسرار البلاغة ولئن تناول العلماء هذه الظاهرة من قبله، فكان أكثرهم يكتفي بالإشارة إلى موضع التقديم وبيان أصل العبارة من أمثال "ابن سنان الخفاجي والسكاكي"، أمّا البلاغيون المحدثون أمثال: "عبد العزيز عتيق، أحمد مصطفى المراغي ورجاء عيد" وغيرهم، فكلهم لم يقف عند الحدود التي وقف عندها النحويون، بل تتبع المعنى لرصد أدق الفروق والأغراض البلاغية التي لم ينتبه إليها النحاة ولم يهتموا بها.

[1] رجاء، عيد. فلسفة البلاغة: بين التقنية والتطور. ط2، الإسكندرية: منشأة المعارف، د ت، ص 74.

[2] ينظر: المرجع نفسه.ص 79.

وخلاصة القول حول تلك الجهود النحوية والجهود البلاغية العظيمة التي بدلها علماؤنا وجعلتهم مصاف الريادة كلّها عالية علو الشأن فلقد درس النحاة هذا الأسلوب (التقديم والتأخير) في حدود الصحة والجمال أحيانا، كما نجد البلاغيين كشفوا عن كثير من قيم الجمال فيه، وتراث العربية واحد. جهود علمائه تتكامل ولا تتفاضل والوعي بعبقرية هذه اللغة وإدراك أسرارها وخباياها لا يمكن الوقوف عليه إلاّ من خلال رؤية شاملة نعتد بكل جهد تناول الدرس اللغوي العربي.

المطلب الثاني: الأغراض البلاغية للتقديم والتأخير:

التقديم والتأخير أسلوب بلاغي حضي بعناية كبيرة واهتمام من قبل علماء البلاغة. استعمله العرب منذ القدم في قصائدهم خطبهم ومعلقاتهم وهذا الاستعمال عائد إلى القيمة الجمالية التي يضفيها على الكلام، فهو يكسب الكلام جمالا ورونقا في ذهن السامع. فيقدم المسند إذا أريد به غرض من الأغراض الآتية:

أولا: أغراض تقديم المسند إليه:

1- التشويق:

وذلك بأن يكون في المسند إليه غرابة من شأنها أنّ تشوق المخاطب إلى معرفة المسند، ذلك لأن المسند والمسند إليه متلازمان. [1]

والمثال الذي يمثلون به: قول أبي العلاء:[2]

والّذِي حَارَت البَرِيَّةُ فيه حيوانٌ مُستَحدثٌ من جمادٍ

[1] بهاء الدين، السبكي. عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح. ط1، ج1، تح: عبد الحميد هنداوي. صيدا-بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، دت، ص 232.

[2] عبد الرحيم، بن احمد العباسي. معاهد التنصيص على شواهد التلخيص. تح: محمد محي الدين عبد الحميد. دط، ج1، بيروت: عالم الكتب، 1947، ص 135.

فالمسند إليه: الاسم الموصول (**الذي**)، والجملة التي بعده (**حارت البرية فيه**) صلة موصول، والموصول وصلته متلازمان، والمخاطب هنا تتشوق نفسه، ويتشوق فؤاده لمعرفة الخبر- أي المسند- لأنّ في المسند إليه غرابة التي تكمن في كون: ما الذي حارت البرية فيه يا ترى؟ فيجيء الخبر متأخرا (**حيوان مستحدث من جماد**) [1]

ومن أمثلة عرض التشويق نذكر ما يلي:﴿ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ ﴾ سورة الحجرات [الآية 13]. فالمخاطبون يستعجلون لمعرفة الخبر، ولاسيما أنهم كانوا يحسبون أنّ الكرم هو البدل، ولكن هنا الكرم شيء آخر وهو التقوى.[2]

2- غرض تعجيل المسرة أو المساءة بالمسند إليه المتقدم:

نحو: الأول (**السعد في دارك**) أو (**التعس في دارك**).

ونحو: (**النجاح نلته**) أو (**الرسوب أصابك**).[3]

والثاني كقولك: (**القصاص أمر محتوم في هذه القضية**).

3- أن تقديمه هو الأصل ولا مقتضى للعدول عنه [4]: كون الأصل فيه التقديم ومرجعه إلى مدلوله هو الذات المحكوم عليها، والمسند هو المحكوم به، أيّ أنه مطلوب للمسند إليه، وهكذا فإنّ تعقد إدراك الذات المحكوم عليها سابق على تعقل الوصف المحكوم به. كقولك: (**محمد رسول الله**) ، جئت بالمسند إليه (**محمد**) مقدما. لأنّ تقديمه هو الأصل، لأنه هو المحكوم عليه بالرسالة وينبغي تقديم ذكره.

[1] عبده عبد العزيز، قليقلة. البلاغة الإصطلاحية. ط3، القاهرة: دار الفكر العربي، 1992، ص 204.

[2] عبد العزيز علي، حربي. البلاغة الميسرة. ط2، بيروت-لبنان: دار ابن حزم للطباعة والنشر، 2011، ص 33.

[3] مرجع سابق: عبده عبد العزيز، قليقلة. ص 204.

[4] عيسى، عليّ العاكوب وعليّ سعد الشتيوي. الكافي في علوم البلاغة العربية: المعاني والبيان والبديع، دط، الإسكندرية: الجامعة المفتوحة للنشر والتوزيع، 1993، ص 133.

4- إفادة التخصيص[1]: قطعا إذا كان المسند إليه مسبوقا بنفي والمسند فعلا نحو: ما أنا قلت هذا؛ أي لم أقله وهو مقول لغيري لا تقول ذلك إلاّ في شيء ثبت أنه مقول، لكن تريد أن تنفي كونك قائل له.

ومنه قول المتنبي:

وَمَا أَنَا اسْقَمْتُ جِسْمِي بِهِ وَلاَ أَنَا أَضْرَمْتُ في القَلْبِ نَارًا

إذن المعنى: ما أنا الجالب لهذا السقم الموجود والضرم الثابت.

والتخصيص لازم للتقديم غالبا بشهادة الاستقراء وحكم الذوق، ومن ثم قال المفسرون في قوله تعالى: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ سورة الفاتحة [الآية 05].

فالمعنى نخصك بالعبادة، والاستعانة ولا نعبد غيرك ولا نستعين به.

5- الإنكار والغرابة:[2]

قال عمرو بن كلثوم في هذا الصدد:

مُعَاذُ الإلهِ أنْ تَنُوحَ نِسَاؤُنَا عَلَى هَالِكٍ أو نُضْجٍ من القَتْلِ

والشاهد في هذا البيت تقديم كلمة معاذ الله التي أفادت إنكار النواح من النساء والضج من الرجال.

ومن هذا القبيل أيضا قول أبي العلاء المعري:

أَعِنْدِي وَلَقَدْ مَارَسَتُ كُلَ خَفِيَّةٍ بِصِدْقِ وَاشٍ أَوْ يَخِيبُ سَائلُ

[1] أحمد مصطفى، المراغي. علوم البلاغة: البيان،المعاني،البديع. ط3، بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية، 1993، ص 108.

[2] منير، محمود الميسري. دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم. ط1، القاهرة: مكتبة وهبة للطباعة والنشر، 2005، ص 58.

أصل الترتيب في بين أبي العلاء المعري: أيصدق واش أو يخيب سائل عندي. ولكن أبا العلاء هنا ما أراد أن ينكر إمكانية تصديق الواشي أو تخيب السائل، وإنّما أنكر أن يكون هو هذا الشخص الذي يصدق الواشي أو يخيب السائل.

كأنه يقول: نعم غيري بفعل هذا أما أنا فلا. ولذا بدأ بقوله عندي لكي يكون مصب الإنكار في ذاته هو.

6- إيهام التلذذ: بذكره [1]

كقول الشاعر " **قيس** "

باللهِ يا ظَبْيات القَاعِ قُلْنَا لنا لَيْلَايَ مِنْكُنَ أم لَيْلَى من البَشَرِ

وأيضا قول الشاعر " **جميل** "

بُثَيْنَةُ مَا فيها إِذَا ما تَبَصَّرَتْ مُعَابُ ولا فيها إذا نَسبتْ أَشَبُ

7- النص على عموم السلب أو سلب العموم:[2]

فالأول يكون بتقديم العموم ككل وجميع على أداة النفي نحو: (**كل ذلك لم يكن**)؛ أي: لم يقع هذا ولا ذاك.

والثاني: يكون بتقديم أداة النفي على أداة العموم. نحو: (**لم يكن كل ذلك**)؛ أي لم يقع المجموع. فيحتمل ثبوت البعض، ويحتمل نفي كل فرد.

وعموم السلب يكون إذا قدّمت صيغة العموم على النفي وسلب العموم إذا قدمت النفي على صيغة العموم.

[1] أحمد، مطلوب. أساليب بلاغية: الفصاحة، البلاغة، المعاني. ط1، الكويت: وكالة المطبوعات للطباعة والنشر، 1980، ص 170.

[2] حفني، ناصف وسلطان محمد وآخرون. دروس البلاغة. تح: محمد بن صالح العثيمين، ط1، الكويت: مكتبة أهل الأثر للطباعة والنشر، 2004، ص 68.

8- التبرك: اسم الله اهتديت به [1]

9- تقوية الحكم وتقريره:[2] كقوله تعالى:﴿ **وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ** ﴾ سورة المؤمنون [الآية 59].

10- مراعاة الترتيب الوجودي: [3]

مثال قوله تعالى:﴿ **لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ** ﴾ سورة البقرة [الآية 255].

ومنه قول الأعشى الكبير ميمون ابن قيس:

باتت سعاد، وأمسى حبلها رابا وأحدث النأي لي شوقا وأنصابا

إنّ هذا البيت أتى فيه التقديم لعلتين:

العلة الأولى: الاهتمام حيث أنّ شوقه لحبيبته أهم من النصب والأوجاع.

والعلة الثانية: هي علة التقديم الوجودي للشوق على الأنصاب.

والنصب إلاّ أثر من آثار هذا الحب فقدم الشوق عليه لأنه هو السبب فيه.

11- الاحتقار:[4]

نحو قوله عمر بن كلثوم:

رَدَدْتُ على عَمْرُو بَنُ قَيس قِلادةً ثَمَانِينَ سودًا من ذرَى جَبَل الهَضْبِ

[1] محمد أحمد، القاسم ومحي الدين ديب. علوم البلاغة: البديع، البيان، المعاني. ط1، طرابلس- لبنان: المؤسسة الحديثة للكتاب،2003، ص 335.
[2] مرجع سابق: أحمد، مطلوب. ص 170.
[3] مرجع سابق: منير، محمود الميسري. ص 60.
[4] مرجع نفسه. ص ص 61-62.

أصل الترتيب في البيت يكون:

رددت قلادة على عمرو بن قيس.

بدأ بذكره تحقيرا له، برفضه القلادة منه وعدم قبولها وهذا دليل على احتقاره له ليس لها.

فلو كان الاحتقار مقصودا به القلادة فلبدء بذكرها أولا.

12- الافتخار: [1]

يقول : الأقيشر:

حَضْرَمَوْت فَتَشَت أَحْسَابَنَا وَإِلَيْنَاَ حَضْرَمَوْت تَنْتَسِبُ

قدم الجار والمجرور (إلينا) عل حضرموت للافتخار بقومه والاعتزاز به.

- وهناك أغراض أخرى لتقديم المسند إليه نذكرها مختصرة وهي على النحو الأتي:[2]

التعظيم، المدح والفخر، الاهتمام بالمتقدم، الإنذار بالخطر، التقدم لمراعاة التناسب، التشريف، للعلة والسببية، للمرتبة...إلخ

ثانيا : أغراض تقديم المسند:

1/ تخصيصه بالمسند إليه:[3]

قال تعالى:﴿ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ﴾ سورة الروم [الآية 04].

وقوله تعالى: ﴿ **فلله الحمد رب السموات ورب الأرض رب العالمين** ﴾ سورة الجاثية [الآية 36].

[1] مرجع سابق: منير، محمود الميسري. ص 61-62

[2] مرجع سابق: أحمد، القاسم ومحي الدين ديب. ص ص 312-313.

[3] فضل، عباس. البلاغة : فنونها وأفنانها. ط4، أربد-لبنان: دار الفرقان للنشر والتوزيع، 1997، ص 229.

نرى في الأمثلة السابقة أنّ تقديم المسند قصد منه التخصيص فإذا قلت: (لله الأمر)، فمعنى هذا لله وحده لا أحد غيره، وكذلك : لله الحمد.

2/ إرادة التشويق للمتأخر إذا كان للمتقدم ما يشوق لذكره كتقديم المسند: [1]

ويكثر هذا الداعي في المدح والوعظ

ومن أمثلته في المدح قول محمد بن وهب يمدح المعتصم:

ثَلَاثَةٌ تُشْرِقُ الدُّنْيَا بِبَهْجَتها شمسُ الضُّحَى وأبو إسْحاقَ والقمرُ.

3/ أن يكون في المسند ما يدعو إلى التفاؤل بالخير أو التشاؤم من الشر:[2]

ويريد موجّه المبادرة بما يحدث في نفس المتلقي من التفاؤل والتشاؤم

قال الشاعر في هذا الصدد:

سَعِدَتْ بغرّةِ وجهكَ الأيامُ وتزينتْ بلقائكَ الأعوامُ

4/ منها: التعجب أو التعظيم أو المدح أو الذّم أو الترحم أو الدعاء:[3]

نحو: عظيم أنت يا إلاه (التعظيم)

نعم الزعيم سعد (فيه مدح)

بئس الرجل خليل (فيه ذم)

ويؤخر المسند لأنّ تأخيره هو الأصل.

[1] عبد الرحمان، حسن حنبكة الميداني. البلاغة العربية: أسسها وعلومها وفنونها. ط1، ج1، دمشق: دار القلم للنشر والتوزيع، 1996، ص 381.
[2] مرجع نفسه. ص 380.
[3] السّيد أحمد، الهاشمي. جواهر البلاغة. د ط، صيدا–لبنان: المكتبة العصرية للنشر والتوزيع، 1999، ص 136.

5/ التنبيه على أنّ المتقدم خبر لا نعت:[1] نحو قوله تعالى: ﴿ لكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين ﴾ سورة البقرة [الآية 36].

فالشاهد هنا هو في قوله: (ولكم مستقر) فلو قال : (مستقر لكم) للتوهم ابتداء أنّ (لكم) نعت وأنّ خبر المبتدأ سيذكر فيما بعد، وذلك لأنّ حاجة النكرة إلى النعت أشد من حاجتها إلى الخبر، ولذلك تعين تقديم المسند للتنبيه على أنّه خبر لا نعت.[2]

[1] مرجع سابق: فضل حسين، عباس. ص 231.

[2] عيسى، عليّ العاكوب وعلي سعد الشتيوي. الكافي في علوم البلاغة. دط، الإسكندرية: الجامعة المفتوحة للنشر والتوزيع، 1993، ص 206.

الفصل الثالث

تمهيد:

يعرف التقديم والتأخير بأنّه أسلوب نحوي بلاغي، يقدم ما حقه التأخير، ويؤخر ما حقه وأصله التقديم وذلك لأسباب وأغراض اقتضت ذلك.

ويعدّ هذا الأخير فن من فنون البلاغة والبيان، لا يعرفه إلاّ ذلك البلاغي العالم بأساليب اللغة العربية وما يؤديه من دور في الكلام.

والقرآن الكريم كعادته تميّز في هذا الأسلوب -كغيره من أساليب الكلام والبلاغة والبيان- فحصل بذلك على المكانة الأرقى وبلغ ذروته في نسج وسبك كل حرف من حروفه، وكل كلمة من تراكيبه في موقعها المناسب له في الآية وفي السورة ككل، والقرآن الكريم راعى جميع المواضيع التي وردت فيها اللفظة ولم يقتصر على مراعاة السياق الذي جاءت فيه فحسب، ونظر إليها نظرة شاملة في القرآن الكريم كله، فيكون بذلك الكلام متناسقا، حَسَنُ السبك والنسج مع غيره من التعبيرات وكأنه وحدة وكتلة مكتملة ومنسجمة فيما بينها.

فكل كلمة من كلماته استوجبت الحكمة الإلهية وضعها المكان المناسب سواء أكانت على أصلها في الترتيب أو قدمت وأخرت عن موقعها.[1]

وانطلاقا من هذا التمهيد نطرح التساؤل التالي: **ما هي الأبعاد التداولية للتقديم والتأخير في الخطاب القرآني ؟**

وقبل الخوض والدراسة في الإجابة عن هذا التساؤل ارتأينا أولا أن نقدم تعريفا موجزا للقرآن الكريم بالمفهوم اللغوي وكذلك الإصطلاحي مع ذكر أسمائه.

[1] ينظر: مصطفى شعبان بسيوني مسعد. «أسلوب التقديم والتأخير في تنزيل الحكيم الخبير». كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية ، ص ص 5-6.

المبحث الأول: حول القرآن الكريم

I- مفهوم القرآن الكريم

1/ لغة:

قَرَأَ يَقْرَأُ قِرَاءَةً وقُرآنًا بمعنى الجمع والضَّمُ والقِرَاءَةُ ضَّمُ الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل، والقرآن في الأصل مصدر نحو: كفران ورُجْحَان.قال تعالى:﴿ **إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ** ﴾ سورة القيامة [الآية 17-18].

قال ابن عبّاس: إذا جمعناه وأثبتناه في صدرك فاعمل به، وقد خص بالكتاب المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، وصار له كالعلم، وقد قال بعض العلماء في هذا: «**تسمية هذا الكتاب قرآنا من بين كتب الله لكونه جامعا لثمرة كتبه**» بل لجمعه ثمرة جميع العلوم. [1]

وورد أيضا في معجم المنجد في اللغة لصاحبه " **لويس معلوف** ": «قَرَأ- قَرْأً وقِراءة وقُرأنا واقترأ الكتاب: نطق بالمكتوب فيه أو ألقى النظر عليه وطالعه (...)» [2]

«وقُرآناً الشيء: جمعه وضَمَّ بعضه إلى بعض». [3]

انطلاقا ممّا عرضناه سابقا ومن خلال المعاجم التي ذكرناها نجد أنّ القرآن لغة هو مصدر من قرأ يقرأ وقراءة وقرآنا والذي لا يخرج عن معنى الجمع والضّم في كل من المعجمين السابقين كما نجده في التنزيل الحكيم أيضا أنّه لا يخرج عن ذات المعنى وهو الجمع والقراءة والضّم.

2/ اصطلاحا:

يعرف القرآن الكريم بمفهومه العام؛ بأنه معجزة الإسلام الخالدة التي لا يزيدها التقدم العلمي إلاّ رسوخا في الإعجاز، أنزله الله على رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ويهديهم إلى

[1] الراغب، الأصفهاني. "مفردات ألفاظ القرآن". تح: صفوان عدنان داوودي، ط4، دمشق: دار القلم، 2009، ص 668.
[2] لويس، معلوف. "المنجد في اللغة والأدب والعلوم"، ط19، بيروت: المطبعة الكاثوليكية، 2005، ص 616.
[3] مرجع نفسه. ص 617.

الصراط المستقيم، فكان ـصلوات الله عليه وسلامه عليهـ يبلغه لصحابته فيفهمونه بسليقتهم وحرصوا على حفظه وفهمه فكان ذلك شرفا لهم. [1]

وفي تعريف علماء الأصول والفقه للقرآن الكريم بأنه كلام الله سبحانه وتعالى نزل به جبريل عليه السلام على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وهو المكتوب في المصحف، المبدوء بسورة الفاتحة، المختتم بسورة الناس. [2]

وقد عرّف القرآن نفسه بنفسه [3] من خلال قوله تعالى:﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ سورة الشعراء [الآيات من 192-196]

ويعرفه محمد علي الصابوني في كتابه التبيان في علوم القرآن باتفاق بين العلماء والأصوليين «وهو كلام الله المعجز، المنزل على ختام الأنبياء والمرسلين بواسطة الأمين جبريل عليه السلام، المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا بالتواتر، المتعبّد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة، المختتم بسورة الناس ». [4]

فقد جاء القرآن الكريم معجزة تحدى بها الإسلام العرب فعجزوا عن تحديها من حيث إعجاز نظمها وأسلوبها وما اشتملت عليه من أحسن المواعظ، والحكم والعلوم، والأساليب...

فالقرآن الكريم كتاب الله تعالى وكلامه جعله معجزة ودليلا صادقا على نبوة ورسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وجاء هداية ورحمة لجميع البشر، يستنير الناس بهديه ويتبعون تعاليمه، ويتقربون إلى الله بتلاوته وحفظه والتخلق بأخلاقه وصفاته.

II- أسماء القرآن

للقرآن الكريم أسماء عديدة، كلّها تدل على رفعة شأنه وعلو مكانته، وعلى أنّه أشرف كتاب سماوي على الإطلاق، فيسمى: " **القرآن** " " **الفرقان** "، " **التنزيل** "، " **الذكر** "، " **الكتاب** "...الخ. وقد جاءت هذه التسميات في آيات كثيرة نذكر منها: [5]

[1] منّاع، القطان. مباحث في القرآن الكريم. ط7، القاهرة: مكتبة وهبة للطباعة والنشر. د ت، ص 5.
[2] محمد عابد، الجابري. مدخل إلى القرآن الكريم. ط1، بيروت-لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية، 2006، ص 17.
[3] المرجع نفسه. ص 19.
[4] محمد، علي الصابوني. التبيان في علوم القرآن. ط1، كراتشي- باكستان: مكتبة البشرى للطباعة والنشر، 2010، ص 8.
[5] مرجع سابق: محمد علي الصابوني. ص ص 10-11.

1- تسميته ب " القرآن ":

فقد جاء في قوله تعالى:﴿ قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ﴾ سورة ق [الآية 01] وقوله أيضا:﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا﴾ سورة الإسراء [الآية 09].

2- تسميته ب" الفرقان ":

فقد جاء في قوله تعالى:﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ سورة الفرقان [الآية01].

3- تسميته ب" التنزيل ":

ففي قوله تعالى:﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴾ سورة الشعراء [الآية 192-193].

4- تسميته "بالذكر ":

فقد جاء في قوله تعالى: ﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذٗا مُّنظَرِينَ ٨ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ سورة الحجر [الآية 09].

5- تسميته " بالكتاب ":

قال تعالى: ﴿وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ٢ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ سورة الدخان [الآية 2-3].

المبحث الثاني: التقديم والتأخير دراسة نحوية بلاغية، تداولية في نماذج مختارة من القرآن الكريم

I- التقديم والتأخير في الجملة الاسمية

- **تقديم الخبر على المبتدأ:**

لقد أشرنا سابقا في الجانب النظري إلى حالات تقديم الخبر على المبتدأ وجوبا كنا قد قلنا أنّ هناك أربع حالات أو مواضع يتقدم فيها الخبر، أما في هذا الجانب (**التطبيقي**) فسنقدّم نماذج وأمثلة من كتاب الله تعالى (**القرآن الكريم**) نلخص فيها كلّ حالة على حدى وهي على النحو الأتي:

الحالة الأولى: أنّ يكون المبتدأ نكرة غير مفيدة ولا مصوغ للابتداء بها مخبر عنها بظرف أو جار ومجرور:

مثال 1:

قال الله تعالى:﴿ **وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَذُرِّيَّةٗۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ لِكُلِّ أَجَلٖ كِتَابٞ** ﴾ سورة الرعد [الآية 38].

الشاهد النحوي في هذه الآية هو: **لِكُلِّ أَجَلٖ كِتَابٞ**

فكتاب: مبتدأ مؤخر، وهو نكرة محصنة غير مفيدة أو مخصصة فلا تصلح أنّ تكون مبتدأ متقدم، لذلك تقدم عليها الخبر المتخصص من الجار والمجرور.

ف: ل: اللام حرف جر.

كل: اسم مجرور باللام وهو مضاف.

أجل: مضاف إليه مجرور.

وشبه الجملة (**لكل أجل كتاب**) في محل رفع خبر مقدّم. [1]

يقول الكلبي في تفسير هذه الآية : عيّرت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت ما نرى لهذا الرجل همة إلاّ النساء والنكاح، ولو كان نبيا كما زعم. لشغله أمر النبوة عن النساء. [2]

[1] هادي، نهر. الاتقان في النحو واعراب القرآن. ط1، ج1، اربد-الأردن: عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، 2010، ص 272.

[2] أبو جعفر محمد بن جرير، الطبري. مختصر تفسير الطبري. ط2، الجزائر: مكتبة الرحاب للطباعة والنشر، 1987، ص 254.

فالكفار المشركون سخروا في الرسول صلى الله عليه وسلم وطلبوا منه أن يأتيهم بآية دون علمه عزوجل. فأنزل الله تعالى هذه الآية ردا عليهم وكان سياق إنزاله لها: ردا على الكافرين مبينا لهم أنّه سيأتي أجل (وقت) وسينزل العزيز الجبّار الكتاب –معجزة رب العالمين– المبين الذي هو معجزة لإثبات نبوة خير المرسلين محمد طه الآمين.

فالتقديم الذي جاء في هذه الآية ليس مجرد العناية والاهتمام كما ذكر سيبويه والنحاة القدامى، وإنّما يعود لسبب تداولي مرّده إلى إثبات للمخاطب الذي يشكك في نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم (يقصد هنا المشركين الكفّار).

وممّا لاشك فيه أنّ البعد التداولي للخطاب القرآني يتحقق بصورة عامة في حالة قيام البناء اللغوي (التراكيب النحوية) بإحداث حالة دينامية من التفاعل القائم بين البنية اللغوية. وما تؤديه من وظيفة اتصالية بين منتج النص ومتلقيه. [1]

فالله عزوجل عندما أنزل هذه الآية كان هو المنتج للخطاب القرآني. موجها إياها إلى المتلقي وهو هنا المشركين الكفار، فالتقديم جاء في هذه الآية لسياق مردّه إلى سبب نزولها، والله سبحانه وتعالى أنزلها فهي بمثابة تغذية رجعية أي الرّد وحدوث استجابة.

فمن خلال هذا نرى أنّ العلم الحديث (التداولية) فالعرب سباقوّن لهذا العلم بمختلف المصطلحات فهم نظروا لهذا العلم دون علمهم، إلى أن جاء علماء الغرب واكتشفوا هذا العلم وأخذوا يطبقونه على التراث العربي وبما فيه القرآن الكريم، فوجدوا أنّ «الخطاب القرآني ذو صبغة تداولية»

مثال 2:

قال تعالى:﴿ **قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا** ﴾ سورة مريم [الآية 46].

[1] بنظر: أحمد، المتوكل. من البنية الحملية إلى البنية المكونية. ط1. بيروت: دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1987، ص 05.

يذكر النحاة وجهين للإعراب:

الوجه الأول:

الشاهد النحوي في هذه الآية هو: (**أراغب أنت**)

راغب: خبر مقدم مرفوع بالضمة.

أنت: ضمير متصل مبني في محل مبتدأ مؤخر.

قدمّ الخبر على المبتدأ في قوله (**أراغب أنت**) لأنّه كان الأهّم عنده. وهو عنده محل العناية والاهتمام فأولاه الرتبة النحوية (التقديم). وفيه كذلك ضرب من التعجب والإنكار لرغبته عن ألهته وأنّ آلهته ما ينبغي أن يرغب عنها أحد.

وفي هذه الآية سلوان وثلج لصدر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمّا كان يلقى من مثل ذلك من كفار قومه.

ويقول "**الزمخشري**" في هذا الصدد: «لما أطلعه على سماجة صورة أمره، وهدم مذهبه بالحجج القاطعة، وناصحه المناصحة العجيبة مع تلك الملاطفات. أقبل عليه الشيخ بفظاظة الكفر وغلظة العناد، فناداه باسمه. ولم يقابل يا أبت بيابنيّ». [1]

الوجه الثاني للإعراب:

أراغب: مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة.

أنت: فاعل لاسم الفاعل سد مسد الخبر.[2]

يقول "**ابن عاشور**": «فدّل النظم في هذه الآية على أنّ أبا إبراهيم ينكر على إبراهيم تمكن الرغبة عن آلهتهم من نفسه، ويهتم بأمر الرغبة عن الآلهة لأنّها موضع عجب». [3]

[1] أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري. تفسير الكشاف. ط3، بيروت-لبنان: دار المعرفة للطباعة والنشر، 2009، ص 638.
[2] محمد الطاهر، بن عاشور. تفسير التحرير والتنوير. د ط، ج16، تونس: الدار التونسية للنشر، 1884، ص 119.
[3] م ن. ص ن.

يشير "**الزمخشري**" في تفسيره الكشاف إلى الغرض من تقديم (**أراغب**) الخبر عن (**أنت**) المبتدأ قائلا: «قدم الخبر على المبتدأ في قوله: (**أراغب أنت عن آلهتي**) لأنّه كان أهمّ عنده، وهو به أعنى». [1]

عند بيان سبب التقديم في الآية الكريمة (**أراغب أنت**) لا يصح الاكتفاء بالقول أنه قدم هذا الكلم للعناية والاهتمام فقط وإنّما لابد من بيان مواطن هذه العناية وسبب هذا التقديم، فبالعودة إلى كتب التفاسير تجد المفسرين يؤولون تقديم لفظ على لفظ آخر، وذلك بالعودة إلى السياق التي وردت فيه، وكذا مراعاة جميع المواضع التي وردت فيها اللفظة. [2]

وعلى هذا نرى أنّ التقديم في الجملة الاسمية (**أراغب أنت**) كان **غرضه الأول**: مراعاة حال المخاطب والمتكلم، ففي كلام المفسر "**محمد الطاهر بن عاشور**" نجده يعلل تقديم اللفظة (**راغب**) على الضمير (**أنت**) بكون أن الله سبحانه وتعالى نظم هذه الآية على لسان أبا إبراهيم وانّ دلالتها تنحصر في كونه منكر لرغبة إبراهيم عن تمكن ألهتهم في نفسه.

فتعيين المخاطب في النص من الأمور التي حفل بها البعد التداولي وهذا ما التقى به علماء التفسير مع علماء التداولية، بالإضافة إلى أن جوهر العملية التداولية يكمن في المقصدية التي يهدف من خلالها المتكلم إلى التأثير في المخاطب، وبهذا تدخل من طريق هذا المفهوم ثلاثة عناصر أساسية موجودة في القرآن الكريم، تنبه إليها علماء التفسير وأولو كلامه عزوجل وتأويلهم هذا كان منطلقا من حال: المخاطَب، المخاطِب، وظروف التنزيل.[3]

فأسلوب القرآن الكريم، تكيّف بحسب نوعية مخاطبيه، وحسب القضية المتحدث بها، والسياق الذي دار فيه الخطاب (أي أسباب نزول الآيات في القرآن).[4]

[1] مرجع سابق: الزمخشري. ص 638.

[2] عمر بن عبد المجيد، البيانوني. قواعد التقديم والتأخير عند المفسرين. د ط، د ت، ص 135.

[3] ينظر: مؤيد، عبيد أل صونيت. (الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي). أطروحة دكتوراه متقدم بها إلى مجلس كلية الآداب في الجامعة المستنصرية، 2009، ص 117.

[4] مرجع نفسه. ص 118.

والغرض الثاني:المقام التي نزل الله تعالى هذه الآية، يعود إلى قصة إبراهيم عليه السلام حين تبجع بآلهته التي هي من الحجر والأصنام، ولام سيدنا إبراهيم عليه السلام عن رغبته عنها وهذا من الجهل المفرط. [1]

فغرضه من تقديم لفظة (راغب) عن لفظة (أنت)؛ أي تقديم الخبر عن المبتدأ جاء هنا لمناسبة العناية والاهتمام، وكونه كان الأهم عنده، فقال: (أراغب أنت) ولم يقل (أأنت راغب). فقدم لفظ على لفظ لغرض معنوي يعّد ضرب من قضايا التداولية. فالمعنى اقتضى أن تقدم لفظة وتؤخر أخرى دون الإخلال بالتركيب وبالعلاقة الاسنادية. حيث جاءت هذه الآية في سياق التعجب والإنكار لرغبته عن آلهته، ومبالغته في الاهتمام بأمرها.

فالأصل في ترتيب الجملة العربية أن يتأخر الخبر عن المبتدأ، لكن قد يتقدم لعلّة قصدها المتكلم. وهي العناية والاهتمام في هذه الآية، وهذا ما أسّست عليه النظرية التداولية ودعت إلى دراسة اللغة في الاستعمال. فعندما تتحدث عن المكوّن التداولي أو عندما نقول أنّ هذا النص تحكمه عوامل تداولية؛ فإننا نقصد بذلك المكوّن الذي يعالج وصف معنى الملفوظات في سياقها.

ويلتقي كثير من المفسرين لكلام الله عزوجل مع التداولية في بعض مقولاتها ومفاهيمها: كمراعاة غرض المتكلم، ومراعاة السياق الذي ورد فيه النّص، وكذلك مراعاة حال المتلقي، وكتصورهم لضرورة الربط بين الخطاب وملابساته فيميزون بين المقامات المختلفة في الاستعمال اللغوي، ويربطون بين المستوى الدلالي من الملفوظ والمستوى التداولي، وبهذا يكونون قد وصلوا إلى ما يسمى بالتداولية في صميمها متمسكين بمبدأ (اللسان وضع واستعمال). [2]

الحالة الثانية: إذا كان في المبتدأ ضمير يعود إلى شيء في الخبر، أو الخبر.

مثال 1:

قال تعالى: ﴿**هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ**﴾ سورة الحشر [الآية 02].

[1] عبد الرحمان بن ناصر، السعدي. تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان. تح: عبد الرحمان بن معلا اللويحق. ط2. المملكة العربية السعودية: دار السلام للنشر والتوزيع، 2002، ص 575.

[2] مرجع سابق: عمر بن عبد المجيد، البيانوني. ص 137.

الشاهد النحوي : **مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم**

مانعتهم: مانعة: خبر مقدم مرفوع بالضمة.

حصونهم: مبتدأ مؤخر. فيه ضمير يعود إلى شيء في الخبر (وهو ضمير هم) الغائبين الذي يعود على الكفار المشركين.

أورد الله عزوجل في هذه الآية تقديما وتأخيرا، فلم يقل «ظنّوا أنّ حصونهم تمنعهم أو مانعتهم»، لأنّ في تقديم الخبر الذي هو (مانعتهم)، على المبتدأ الذي هو (حصونهم) دليلا على فرط اعتقادهم في حصانتها وزيادة وثوقهم بمنعها إياهم، وفي تصويب ضمير (هم) اسما، لأنّ وإسناد الجملة إليه دليل على تقريرهم في أنفسهم أنهم في عزة، وامتناع لا يبالي معها بقصد قاصد، ولا تعرّض متعرض وليس شيء في ذلك. [1]

إنّ سياق نزول هذه الآية عائد إلى قصة الرسول مع قبيلة بني نظير، حين أرادوا أن يفتك بالرسول صلى الله عليه وسلم، فتأمروا بقلته صلى الله عليه وسلم، فأقاموا على حصونهم يرمون بالنبل والحجارة على الرسول والصحابة رضوان الله عليهم، فأنزل هذه السورة بالإخبار أنّ جميع من في السموات والأرض تسبح بحمد ربّها، وتنزهه عما لا يليق بجلاله، فلا يمتنع عليه شيء ولا يستعصي عليه مستعص.

فالغرض من نزول هذه الآية يعود إلى عظمته عزوجل وقدرته على فعل ما يريد، فالمشركون أعجبوا بحصونهم وغرتهم وحسبوا أنهم لا ينالون بها ولا يقدر عليها أحد، وقدر الله وراء ذلك كلهم، لا تغني عنه الحصون والقلاع، ولا تجدي فيهم القوة والدفاع. [2]

وفي التحرير والتنوير إشارة إلى أن التقديم ناجم عن مراعاة المخاطبين وهو الذين اغتروا بأنفسهم وحصونهم يقول: «ونظم جملة : وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم» على هذا النظم دون أن يقال: «وظنوا أنّ حصونهم مانعتهم» ليكون الابتداء بضميرهم لأنه سيعقبه إسناد «مانعتهم» إليه فيكون الابتداء بضمير هم مشيرا إلى اعتزازهم بأنفسهم أنهم في عزّة ومنعة، وأنّ منعة حصونهم هي من شؤون عزتهم. [3]

[1] مرجع سابق: عبد الرحمان بن ناصر، السعدي، ص 1002.
[2] مرجع نفسه. ص 1001.
[3] مرجع سابق: محمد الطاهر بن عاشور، ج28، ص 64.

وهي نفس الفكرة تقريبا التي نجدها عند "**الزمخشري**" معلقا عن التقديم في الآية إذ يقول: «فإن قلت: أيّ فرق بين قولك : «وظنوا أنّ حصونهم تمنعهم أو مانعتهم. وبين النظم الذي جاء عليه ؟ قلت: في تقديم الخبر على المبتدأ دليل على فرط وثوقهم بحصانتها ومنعها إيّاهم، وفي تصير ضمير هم اسما لان وإسناد الجملة إليه دليل على اعتقادهم في أنفسهم أنهم في عزة ومنعه لا يبالي معها بأحد يتعرض لهم أو يطمع في معازتهم وليس ذلك في قولك: «وظنوا أنّ حصونهم تمنعهم» [1]

وبهذا ترى أن التقديم في الجملة إنما جاء استجابة للسياق الذي ورد فيه والمتمثل في اغترارهم بحصونهم ومنعتها.

مثال 2:

قال تعالى: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ**﴾ سورة محمد [الآية 24].

الشاهد النحوي في هذه الآية: **عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ**

على: حرف جر.

قلوب: اسم مجرور وعلامة جره الكسرة.

وشبه جملة (**على قلوب**) جار ومجرور في محل رفع خبر مقدم.

وأقفالها: **أقفال**: مبتدأ مؤخر مرفوع وجوبا، جاء في رتبة التأخير كونه يضم ضمير يعود على القلوب (**الخبر**)

سورة محمد سورة مدنية. أنزلها الله تعالى لعباده المسلمين كونهم طلبوا من الرسول صلى الله عليه وسلم متمنيين أن ينزل الله سورة تشمل على حكم القتال، حيث قالوا مخاطبين رسول الله صلى الله عليه وسلم: هلا أنزل الله سورة محكمة في بيانها وأحكامها مشتملة على ذكر القتال، رأيت- أيها الرسول – الذين في قلوبهم شكّ من المنافقين، ينظرون إليك نظرة رعب وخوف [2] فأنزل الله هذه السورة وأنزل الآية الرابعة والعشرون من سورة محمد في سياق وصف المعرضين عن القرآن، وكيف رد إليهم عزوجل جزاء عملهم، فهلاّ تدبّر هؤلاء المعرضون القرآن وتأملوا ما فيه ! فلو تدبروه لدلهم على كل خير، وأبعدهم على كلّ بشر أم على قلوب هؤلاء أقفالها قد أحكم إغلاقها فلا

[1] الزمخشري. تفسير الكشاف. ط3، بيروت-لبنان: دار المعرفة للطباعة والنشر، 2009، ص 1092.

[2] نخبة من العلماء. المختصر في تفسير القرآن الكريم. ط3، المملكة العربية السعودية-الرياض: مركز تفسير للدراسات القرآنية، 1436هـ، ص 509.

تصل إليها موعظة ولا تنفعها ذكرى ؟! فالله أبعد هؤلاء المفسدين في الأرض عن رحمته، وأصّم أذانهم عن سماع الحق، وأعمى أبصارهم عن إبصاره إبصار اعتبار.

قدمّت لفظة القلوب الخبر على المبتدأ (**أقفالها**) لأنّ الله أراد بها التخويف وإدخال الرعب في نفوس المنافقين الذين يرتابهم الشك من الرسول صلى الله عليه وسلم فأنزل هذه الآية «**على قلوب أقفالها**».

وبالعودة إلى تفسير "**الزمخشري**" نجده يقول: «فإن قلت: لما نكرت القلوب وأضيفت الأقفال إليها ؟ قلت: أمّا التنكير، ففيه وجهان: أنّ يراد على قلوب قاسية منهم أمره في ذلك، أو يراد على بعض القلوب وهي قلوب المنافقين وأمّا إضافة الأقفال: فلأنه يريد الأقفال المختصة بها وهي أقفال الكفر التي استغلقت فلا تنفتح فقرئ إقفالها على المصدر».[1]

وبهذا نرى أنّ التقديم في الجملة إنما جاء استجابة لحال المخاطب وهو هنا فئة من المعرضين عن القرآن. فالفهم المترتب عن الآية عند المفسر ينحو منحى تداوليا عنده، ناظرا إلى الخطاب بأكمله وحال المتلقي أو المتلقين خصوصا.

الحالة الثالثة: أن يكون الخبر من الأسماء التي لها الصدارة في الكلام كأسماء الاستفهام، أسماء الشرط....الخ

مثال 1:

قال تعالى: ﴿ **وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ** ﴾ سورة يونس [الآية 48].

الشاهد النحوي: **مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ**

متى: اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع خبر مقدم. لا يجوز تأخيره لأنه مستحق للصدارة في الكلام.

هذا: مبتدأ مؤخر مرفوع.

الوعد: بدل من اسم إشارة.

[1] مرجع سابق: الزمخشري. ص 1021.

يقول كفار قريش للرسول صلى الله عليه وسلم ومن تبعه من المؤمنين مكذبين له فيما أخبرهم به من نزول العذاب بالأعداء والنصرة للأولياء. متى يقّع هذا الوعد الذي تعدنا به إن كنتم صادقين من قولكم. [1]

والواضح أنّ في الآية تعجيل بالوعيد، فالكفار يستعجلون وقت الوعد الذي وعدهم به الله من قبل في قوله عزوجل: «وإمّا نرينك بعض الذي نعدهم»، فأتبعت بهذه الآية حكاية لتهكمهم على تأخير الوعيد. [2]

وجاء قولهم بصيغة المضارع لقصد استحضار الحالة للدلالة على تكرار صدوره منهم، وأطلق الوعد على الموعود به، فالسؤال باسم الزمان مؤول بتقدير يدل عليه المقام، أي متى ظهوره، فالكفار غير مكترثين بهذا الوعد ولا يأبهون به وإنهم مكذبين بحصولهم بقرينة قولهم «إنّ كنتم صادقين» أي؛ إن كنتم صادقين في أنه واقع كما تقولون فعينوا لنا وقته، وهم لن يصدقوا الرسول حتى يرون ما وعدهم به، والوعد المذكور هنا ما هدد به من عذاب الدنيا. [3]

والكفار المشركون في هذه الآية يوجهون للنبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين بقولهم «**إنّ كنتم صادقين**» فيقول بن عاشور: «جمعوهم في الخطاب لأن النبي أخبر به والمسلمين أمنوا به، فخاطبوهم بذلك جميعا لتكذيب النبي وإدخال الشك في نفوس المؤمنين به، وإنّما خص الرسول عليه الصلاة والسلام بالأمر بجوابهم لأنه الذي أخبرهم بالوعيد وأمّا المؤمنون فتابعون له في ذلك». [4]

فمن خلال التفسير والتحليل حول سبب نزول هذه الآية، يظهر أن الكفار يستعجلون (**وقت الوعد**) الذي وعدهم به الرسول صلى الله عليه وسلم رغم أنهم لا يأبهون به ومكذبين به إلاّ أنهم يريدون أنّ يعين لهم وقت ظهوره إن كان صادقا، فقدم المولى عزوجل الخبر «**متى**» على المبتدأ «هذا»

وفي هذا خطاب من المشركين الكفار إلى الرسول صلى الله عليه وسلم (**المخاطب**) بالسؤال والتعجيل عن وقت ظهور هذا الوعد.

[1] منير محمود، الميسري. دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم. ط1، القاهرة: مكتبة وهبة للنشر والتوزيع، 2005، ص 413.
[2] ينظر: محمد الطاهر، بن عاشور. تفسير التحرير والتنوير. د ط، ج11، تونس: الدار التونسية للنشر، 1884، ص 188.
[3] ينظر: مرجع سابق: محمد الطاهر، بن عاشور. ص 189.
[4] م ن. ص ن.

مثال 2:

قال الله تعالى: ﴿**وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ**﴾ سورة الحج [الآية 11].

الشاهد النحوي: **مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ**

من: اسم شرط مبني على السكون في محل رفع خبر مقدم.

يعبد: فعل مضارع مرفوع بالضمة، والفاعل ضمير مستتر تقديره "**هو**".

الله: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره. والجملة الفعلية (يعبد الله) في محا رفع مبتدأ مؤخر

قال المفسرون في أسباب نزول هذه الآية، أنّ أعرابا كانوا يقدمون على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من باديتهم، وكان أحدهم إذا قدم المدينة، فان صحّ بها جسمه ونتجت فرسه مهرا حسنا وولدت امرأته غلاما وكثر ماله وماشيته رضي عنه واطمأن، وقال: ما أصبت منذ دخلت في دين هذا إلا خيرا، وإن أصابه وجع المدينة وولدت امرأته جارية، وأجهضت رماكه، وذهب ماله، وتأخرت عنه الصدقات، أتاه الشيطان فقال: والله ما أصبت منذ كنت على دينك هذا إلا شرا، فينقلب على دينه، فأنزل الله تعالى هذه الآية: «**ومن الناس من يعبد الله على حرف**»[1] وفي هذه الآية يقول "**ابن عاشور**" : «تمثيل لحال المتردد في عمله، يريد تجربة عاقبته بحال من يمشي على حرف جبل أو حرف واد فهو متهيئ لأن ينزل عنه إلى أسفله فينقلب أي ينكب» [2]

في الآية الكريمة خطاب من المولى عزوجل إلى فئة المشركين المترددين في دخول الإسلام الغير مطمئنين بصدق دعوته ولا هم معرضين عنه إعراضا تاما، فهم يدخلون الإسلام إن أصابهم خيرا قبلوا دعوته، وانّ أصابهم شر سخطوا على الإسلام وانخلعوا عنه، فقدم المولى عزوجل الخبر "من" على المبتدأ حتى يحدد الفئة المقصود منها هذا الخطاب والموجه إليها (المتلقين) وهم الذين يعبدون الله على حرف (أي على طرف).

[1] أبي محمد الحسين، بن مسعود البغوي. تفسير البغوي (معالم التنزيل). ط1، بيروت-لبنان: دار ابن حزم للطباعة والنشر، 2002، ص 809.
[2] مرجع سابق: محمد الطاهر، بن عاشور، ج17. ص 212.

الحالة الرابعة: أن يكون الخبر محصورا في المبتدأ

مثال:

قوله تعالى: ﴿**قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ**﴾ سورة النور [الآية 54].

الشاهد النحوي: **وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ**

ورد في التفسير أنه: لا يجب على من أرسله الله إلى قوم برسالة، إلاّ أن يبلغهم رسالته [1] ، وأصل الكلام: فإنّما عليك ما حملت وعليهم ما حمّلوا، والالتفات محسن لا يحتاج إلاّ نكتة. وعلى هذا تكون الآية مفيدة لمعنيين هما: معنى من تعلق خطاب الله تعالى بهم، وهو تعريض بتهديد ووعيد. والمعنى الثاني: من موعظة النبي صلى الله عليه وسلم إيّاهم وموادعة لهم، هذا كله تبكيت لهم ليعلوا أنّهم لا يضرّون بتوّليهم إلاّ أنفسهم ونظيره قوله في سورة آل عمران: ﴿**ألم ترى إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب هم اليهود يدعون إلى كتاب الله**﴾

وهذه الجملة (**وما على الرسول إلا البلاغ المبين**) بيان لإبهام قوله تعالى: (**ما حمّل**) التي معناها: الترغيب في الطاعة استقصاء في الدعوة إلى الرشد.[2]

جاء تقديم في هذه الآية (**وما على الرسول إلا البلاغ المبين**) لأنّ الله يوجه خطابه هذا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم في سياق تكليفه بتبليغ الرسالة ويوجهه إلى من معه إلى (**أمته**).

فكما ترى هنا أن التقديم جاء في النظم (**وما على الرسول إلا البلاغ المبين**) قائما على رعاية المخاطبين، فتحديد المخاطب هو مفتاح لفهم النصّ.

فالقرآن بصفة عامة قام على رعاية المخاطبين. فتارة يشتد وتارة يلين. تبعا لما يقتضيه حالهم سواء أكانت السور مكية أو مدنية، فنجد في السور ماهو وعد ووعيد وتسامح وتشديد وأخذ ورد، وجدب وشذ. [3]

[1] أبو جعفر محمد بن جرير، الطبري. مختصر تفسير الطبري. ط2، الجزائر: مكتبة الرحاب للطباعة والنشر. 1987، ص 103.

[2] مرجع سابق . محمد الطاهر، بن عاشور، ج18. ص 281.

[3] مؤيد عبيد آل صونيت. (الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي). أطروحة دكتوراه متقدم بها إلى مجلس كلية الآداب في الجامعة المستنصرية، 2009، ص ص 119-120.

الحالة الخامسة: أن يكون الخبر شبه جملة والمبتدأ نكرة

مثال:

قال الله تعالى: ﴿ **لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ** ﴾ سورة الصافات [الآية 47]

الشاهد النحوي: **فِيهَا غَوْلٌ**

في: حرف جر.

الهاء: ضمير متصل مبني في محل جر اسم مجرور.

وشبه الجملة (**فيها**) في محل رفع خبر مقدم.

غول: مبتدأ مؤخر مرفوع بالضمة الظاهرة.

أي بخلاف خمور الدنيا، فإنها تغتال العقول، فالتقديم هنا جاء للاختصاص فهذه الخمور تخالف خمر الدنيا من كلّ وجه، فلونها من أحسن الألوان، وطعمها يتلذذ شاربها بها وقت شربها وبعده، وأنّها سالمة من غول العقل وذهابه ونزفه ونزف مال صاحبها، وليس فيها صداع ولا كدر.[1]

فالتقديم جاء في هذه الآية لغرض التخصيص والاختصاص.

وفي تفسير التحرير والتنوير إشارة إلى التقديم والتأخير الوارد في هذه الآية يقول: «وجملة "لا فيها غول" صفة رابعة لكأس باعتبار إطلاقه على الخمر.

وتقديم الظرف المسند على المسند إليه لإفادة التخصيص، أي هو منتف عن خمر الجنة فقط دون ما يعرف من خبر الدنيا. فهو قصر قلب، ووقوع "غول" وهو نكرة بعد (لا) النافية أفاد انتفاء هذا الجنس من أصله، ووجب رفعه لوقوع الفصل بينه وبين حرف النفي بالخبر». [2]

[1] عبد الرحمان بن ناصر، السعدي. تيسير الكريم الرحمان في تفسير الكلام المنان. تح: عبد الرحمان بن معلا اللويحق. ط2، المملكة العربية السعودية: دار السلام للنشر والتوزيع، 2002، ص 827.

[2] مرجع سابق: محمد الطاهر، بن عاشور، ج23. ص 114.

جاء التقديم استجابة للسياق الذي ورد فيه هذا النظم، والمتمثل في نفي الله هذا النوع من الخمر من أصله، فهو قدمه لكونه منتف عن خمر الجنة وفقط، أراد بها التعظيم كونها مخالفة ولا تتشابه خمور الدنيا، بالإضافة إلى مراعاة حال المتكلم.

II- التقديم والتأخير في الجملة الفعلية:

1- تقديم المفعول به على الفاعل:

من بين الحالات التي يتقدم فيها المفعول على الفاعل نجد:

الحالة الأولى: أن يتصل الفاعل بضمير يعود على المفعول:

مثال 1:

قال تعالى: ﴿ **وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ** ﴾ سورة البقرة [الآية 124].

الشاهد النحوي في هذه الآية هو: «**وإذْ ابتلى إبراهِيمَ رَبُّه**»

فكلمة **إبْراهِيمَ** : مفعوله به مقدم منصوب.

رَبُّهُ: رَبُّ: فاعل مؤخر مرفوع، والهاء ضمير متصل يعود على المفعول المقدم (**إبراهيم**). [1]

فلا يجوز هنا إلاّ تقديم المفعول به. لأنّنا لو قدّمنا الفاعل سيؤدي إلى الإضمار قبل الذكر من غير تفسير ولا نية التأخير؛ أي أنّنا لو قدّمنا الفاعل لعاد الضمير على متأخر لفظا ورتبة، وإنّما أريد بالضمير في (ربُّهُ) **الهاء** أنّ يعود على إبراهيم لا على شيء آخر.

[1] عبد الله محمد، النقراط. الشامل في اللغة العربية. ط1، دمشق-سوريا: دار قتيبة للطباعة والنشر. 2003، ص 81.

فتقدم المفعول به على الفاعل في هذه الآية ليس لغرض نحوي مرده الترتيب في الجملة العربية وإنما يعود هذا إلى أنّ الله تعالى أراد أن ينبه على شرف إبراهيم خليله عليه السلام، وأن الله تعالى جعله إماما للناس يقتدى به في التوحيد حتى أنّه قام بما كلّفه الله به من الأوامر والنواهي، فابتلاء الله عزوجل لإبراهيم كان باختباره له بما كلفه من الأوامر والنواهي. فلقد قال تعالى فيه: «**وإبراهيم الذي وفّى**» سورة النجم [الآية 37]. ، فجزاه الله عزوجل على ما فعله، وجعله إماماً للناس وقدوة يقتدى به ويحتدى حذوه.[1]

وتقديم المفعول وهو لفظ إبراهيم لأنّ المقصود تشريف إبراهيم عليه السلام بإضافة اسم "**ربّ**" إلى اسمه مع مراعاة الإيجاز فلذلك لم يقل: «وإذْ ابْتَلَى الله إبراهيم». [2]

فتقديم لفظ على لفظ، كالمفعول على الفاعل في هذا المثال متعلق بالمعنى مقصدية الكلام فالله عزّوجل أراد بتقديم لفظ إبراهيم تشريفا وتعظيما له ولا يمدّ هذا التقديم الصلة بالناحية الشكلية، ولا بموسيقى الفاصلة القرآنية وإنّما هيأ المقام بأن يكون إبراهيم عليه السلام هو المقصود بالخطاب فمراعاة المخاطب والمقام (السياق) تعدّ من صميم البحث التداولي وعليه فالآية الكريمة نزلت بموجب سياق تشريف الله عزوجل لإبراهيم عليه السلام وتعظيمه له بجزائه ومنحه الإمامة للنّاس.

مثال 2:

قال تعالى:﴿ **قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ** ﴾ سورة المائدة [الآية 119].

[1] أبي فداء اسماعيل بن عمر، بن كثير القرشي الدمشقي. تفسير القرآن الكريم. ط1، بيروت-لبنان: دار ابن حزم للطباعة والنشر، ص 196.

[2] محمد الطاهر، بن عاشور. تفسير التحرير والتنوير. د ط، ج1، تونس: الدار التونسية للنشر، 1884، ص 702.

فالشاهد النحوي: «**يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡ** »، فكلمة «**الصَادِقِينَ**» مفعول به منصوب مقدم.

صِدْقُهُمْ: صِدْقُ: فاعل مؤخر مرفوع، و(**هُمْ**) ضمير متصل يعود على المفعول المقدم (**الصَادِقِينَ**)

قال الله مخاطبا عباده مبينا لحالهم يوم القيامة «**هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡ** » فمن الفائز منهم ومن الهالك، ومن الشقي، ومن السعيد.

ففي الآية الكريمة تقدمت لفظة (**ٱلصَّٰدِقِين**) وهي المفعول به على لفظة (**صِدۡقُهُم**) الفاعل والضمير المتصل في الفاعل (**هُمْ**) يعود على المفعول فالله عزوجل قدّم هذه اللفظة تعظيما وافتخارا للصادقين الذين استقامت أعمالهم وأقوالهم، ونياتهم على الصراط المستقيم، والهدْيِ القويم، فيوم القيامة يجدون ثمرة ذلك الصدق، والكاذبون بضدهم، سيجدون ضرر كذبهم وافترائهم وثمرة أعمالهم الفاسدة.[1]

لقد تقدم المفعول به على الفاعل في هذه الآية فالخالق كان في مقام التخاطب مع عيسى بن مريم عليه السلام فسبحانه وتعالى أخبره بجزاء الصادقين من بني إسرائيل الذين يعبدون الله مخلصين الذين له، فتقدمت كلمة الصادقين تعظيما منه عزوجل لجزاء هذه الفئة منهم.

الحالة الثانية: تقديم المفعول به كونه محصورا بأداة الحصر إلاّ، إنّما:

مثال:

قال تعالى: ﴿**وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٞ**﴾ سورة فاطر [الآية 28].

[1] ينظر، مرجع سابق: عبد الرحمان بن ناصر، السعدي. ص 276.

إنما: كافة مكفوفة.

يخشى: مضارع مرفوع بالضمة المقدرة على الألف للتعذر.

الله: لفظ جلالة مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة.

من عباده: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال.

العلماء: فاعل مؤخر. [1]

قُدّمَ مفعول (يخشى) على فاعله لأنّ المحصور فيهم خشية الله هم **العلماء** فوجب تأخيره على سنة تأخير المحصور فيه.

ولتقديم المفعول به (**لفظ الجلالة الله**) على الفاعل **العُلَمَاءُ** دلالة معنوية فالخشية إنّما تقع من العلماء، وقد نزه الله عن الخشية، وفي تقديم المفعول به غرض التعظيم والإخبار بأنّ الذين يخشون الله هم العلماء خاصة دون سواهم، فقد قصد بتقديم المفعول. حصر الفاعلية ولو أخر لا نعكس الأمر، والعلماء الذين علموه بصفاته وعدله وتوحيده، وما يجوز عليه. وما لا يجوز، فعظّموه، وقدّروه، حق قدره، وخشوه من خشيته وما ازداد به علما، ومن ازداد منه خوفا ومن كان علمه به أقل أمن، وفي الحديث: «أعلمكم بالله أشدكم خشية». [2]

وإنّما يعظم مقام الله تعالى ويخشاه العالمون به سبحانه، لأنهم عرفوا صفاته وشرعه ودلائل قدرته، فإنّ الله عزيز لا يغالبه أحد، غفور لذنوب من تاب من عباده. [3]

وأمّا التقديم والتأخير الوارد في الآية الكريمة، فلأنّ سياق الكلام عن حق الله عزوجل في أنّ يخشى، فقدم الخشية التي سبق الكلام لأجلها، ثم اتبعها باسمه سبحانه وتعالى مقدما على الفاعل، وذلك

[1] أحمد عبيد الله، الدّعاس وآخرون. اعراب القرآن الكريم. ط1، ج3، دمشق: دار النمير للطباعة والنشر، 2004، ص 82.

[2] ينظر: أبي القاسم جار الله، محمد بن عمر الزمخشري. تفسير الكشاف. ط3، بيروت-لبنان: دار المعرفة للطباعة والنشر، 2009، ص 886.

[3] نخبة من العلماء. المختصر في تفسير القرآن الكريم. ط3، المملكة العربية السعودية-الرياض: مركز التفسير للدراسات القرآنية. 1436هـ. ص 437.

للاهتمام، ولتنبيه السامع على من يقصد به الكلام، ثم قدّم الجار والمجرور (**من عباده**) ليفيد أنّ الكلام متعلق بنوع معين من العباد فقط، تشويقا للسامع ليتأهب وينتبه لمعرفة هذا النوع الذي بلغ تلك المنزلة الكبيرة من الاهتمام لأن ينص الله عزوجل عليه دون غيره، ويقصر خشيته عليه، دون من سواه، ثم ختم الكلام بذكر الفاعل المراد وهو (**العلماء**) وبهذا تتم دلالة الحصر والقصر؛ أي قصر صفة الخشية على أهل العلم بالله عزوجل.

الحالة الثالثة: إذا كان المفعول ضمير متصلا والفاعل اسم ظاهر:

مثال:

قوله تعالى: ﴿**وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ**﴾ سورة التوبة [الآية 30].

الشاهد النحوي في هذه الآية: « **قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ**»

فالمفعول به ضمير متصل بالفعل (**قَٰتَلَهُم**).

والفاعل اسم ظاهر هو لفظ الجلالة (**الله**).

قاتلهم الله دعاء مستعمل في التعجيب، وهو مرّكب يستعمل في التعجب من عمل شنيع، والمفاعلة فيه للمبالغة في الدعاء؛ أي قتلهم الله قتلا شديدا وجملة التعجيب مستأنفة كشأن التعجب. [1]

«**وقاتلهم الله**» قال ابن عبّاس: لعنهم الله: وقال ابن جريح: أي: قتلهم الله.

[1] مرجع سابق: محمد الطاهر، بن عاشور، ج10. ص 169.

وقيل: ليس هو على تحقيق المقاتلة ولكنه بمعنى التعجب « أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ » ؛ أي: يصرفون عن الحق بعد قيام الأدلة عليه.[1]

فالتقديم هنا في هذه الآية الذي هو **المفعول به** الضمير المتصل بالفعل (قاتلهم) على الفاعل الذي هو لفظ جلالة (الله) اقتضاه السياق والمقام فقاتلهم دعاء مستعمل في التعجيب والمفاعلة فيه للمبالغة في الدعاء **أي قتلهم الله قتلا شديدا** والقصد من هذا التقديم والذي ينوي المتكلم (الله سبحانه وتعالى) إبلاغه هو دعاء مستعمل في التعجيب من العمل الشنيع الذي ارتكبه الكافرون. فالعدول عن القاعدة النحوية مرتبط بالقصد والسياق.

2- تقديم المفعول به على الفاعل والفعل معا:

الحالة الأولى: إذا كان المفعول به ضمير منفصل

مثال 1:

قوله تعالى:﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ سورة الفاتحة [الآية 05].

الشاهد النحوي في هذه الآية: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ »

إياك: إيَّا: ضمير نصب منفصل مبني على الفتح في محل نصب مفعول به مقدم على الفعل «**نَعْبُدُ**» والكاف حرف خطاب لا محل لها من الإعراب.

نعبد: فعل مضارع مرفوع.

إيّاك: سبق إعرابها.

[1] أبي محمد الحسين، بن مسعود البغوي. تفسير البغوي (معالم التنزيل). ط1، بيروت-لبنان: دار ابن حزم للطباعة والنشر، 2002، ص 553.

نستعين: فعل مضارع أصله نستعون استثقلوا الكسرة على الواو ونقلوها إلى العين فانقلبت الواو لانكسار ما قبلها. [1]

فقد تقدم المفعول به وهو «إيّاك» لأنه ضمير منفصل لو تأخر عن عامله وجب اتصاله. [2]

ففي الآية الكريمة **تقديم المفعول به** على الفعل والفاعل لقصد الاختصاص والمعنى نخصك وجدك بأنواع العبادة والطاعة، فلا نشرك معك غيرك، ومنك وحدك نطلب العون في كل شؤوننا فيفيدك الخير كله، ولا معين سواك. [3]

وفي هذه الآية انتقال من لفظ الغيبة أي لفظ الخطاب، والكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع، وإيقاظا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد، وقد تختص مواقعه بفوائده، ومما اختص به هذا الموضع: أنه لما ذكر الحقيق بالحمد، وأجري عليه تلك الصفات العظام، تعلق العلم بمعلوم عظيم الشأن حقيق بالثناء، وغاية الخضوع والاستعانة في المهمات، فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات، فقيل إيّاك، يا من هذه صفاته نخصه بالعبادة والاستعانة، لا نعيد غيرك ولا نستعينه، ليكون الخطاب أدل على العبادة له لذلك التميز الذي لا تحق العبادة إلاّ به.[4] وبذلك قدّم المفعول به على الفعل والفاعل في الآية الكريمة كون بعض المقامات التخاطبية هي من فرضت تقدّمه.

المثال2:

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ سورة النحل [الآية 51].

[1] محمد نوري بن محمد، بارتجي. الياقوت والمرجان في اعراب القرآن. ط1، الأردن: دار الإعلام للنشر والتوزيع، 2006، ص 5.
[2] مرجع سابق: أحمد عبيد الله، الدعاس وآخرون، ج1. ص 8.
[3] مرجع سابق: نخبة من العلماء. ص 1.
[4] مرجع سابق: الزمخشري. ص ص 28-29.

الشاهد النحوي في هذه الآية: «**فَإِيَّىَ فَٱرۡهَبُونِ**»

فَإِيَّى: الفاء الفصيحة و**إيَاي**: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل نصب مفعول به لفعل ارهبُون.

(**فارْهبُونِ**): الفاء عاطفة و**ارهبونِ**: أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والنون للوقاية وحذفت ياء المتكلم للتخفيف. [1]

معنى هذه الآية؛ إن رهبتم شيئا فإياي فارهبوا دون غيري، لأني أنا الذي لا يعجزني شيء. وفي الجملة الكريمة «**فأياي فارهبون**» التفات من الغيبة إلى الخطاب، للمبالغة في التخويف، إذ تخويف الحاضر أبلغ من تخويف الغائب.[2]

وقدم المفعول وهو إياي لإفادة الحصر، وحذف متعلق الرهبة للعموم؛ أي: ارهبوني في جميع ما تأتون وما تذرون كما أنّ في هذه الآية نهي عن الشرك والأمر بإخلاص العبادة والخوف من الله عن طريق القصر والتخصيص والسياق اقتضى هذا لكي يقلع الناس عن الرذيلة والنكراء، ويؤمنوا بالله الواحد القهار وأن يؤمنوا بالله الواحد القهار وأن لا يؤمنوا إلاّ به وحده لا شريك له لهذا قدّم «إياي» المفعول به لأن المقام الخطابي فرض هذا فهو خطاب يخص الله وحده لا شريك له.

الحالة الثانية: إذا كان من أسماء الصدارة

مثال1:

قال تعالى: ﴿**ويريكم آياته فأيّ آيات الله تنكرون**﴾ سورة غافر [الآية 81].

الشاهد النحوي في الآية: **فأيّ آيات الله تنكرون**

[1] مرجع سابق: أحمد عبيد، الدعاس وآخرون، مج2. ص 162.

[2] مرجع سابق: محمد الطاهر، بن عاشور. ج14. ص 174.

فأيًّ: اسم استفهام مفعول به مقدم وهو مضاف، وآيات مضاف إليه وهو مضاف، ولفظ الجلالة مضاف إليه والعامل في اسم الاستفهام هو الفعل، تنكرون لأنّ الاستفهام يعمل فيه ما بعده. ولو كان مع الفعل ضمير كالهاء لكان الاختيار الرفع في (**أيّ**).[1]

أيّ: أي آية من آياته لا تعترفون بها؟ فإنكم قد تقرر عندكم، أنّ جميع الآيات والنعم منه تعالى، فلم يبق للإنكار محل، ولا للإعراض عنها موضع، بل أوجبت لذوي الألباب بذل الجهد، واستفراغ الوسع، للاجتهاد في طاعته والتبتل في خدمته والانقطاع إليه. [2]

ففي الآية الكريمة تقديم المفعول به على الفعل والفاعل (**تنكرون**) لأنّ المفعول به اسم استفهام من الأسماء التي لها صدارة في الكلام، فالله عزوجل في هذه الآية يريهم دلائله الكثيرة الواضحة الدّالة على قدرته وتدبيره في خلقه، فأي آية من آياته تنكرونها ولا تعترفون بها.

فهو استفهام توبيخ وتذكير. والسياق افتضى تقديم المفعول لأنّ الله تعالى يخاطب المشركين الذين لا يؤمنوا بآياته ووحدانيته ومخاطبتهم جاءت على صيغة استفهام إنكاري.

مثال2:

قال تعالى:﴿ **قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا** ﴾ سورة الإسراء [الآية 110].

الشاهد النحوي في الآية: «**أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ** »

أيّا: اسم شرط جازم في محل نصب مفعول به مقدم "ما" زائدة.

[1] هادي، نهر. الاتقان في اعراب القرآن. ط1، ج2، اربد-الأردن: عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، 2010، ص 561.

[2] عبد الرحمان بن ناصر، السعدي. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. تح: عبد الرحمان بن معلا اللويحق. ط2. المملكة العربية السعودية: دار السلام للنشر والتوزيع، 2002، ص 875.

تدعوا: مضارع مجزوم لأنه فعل شرط.[1]

وورد في سبب نزول هذه الآية الكريمة عن ابن عباس رضي الله عنهما سمعه أبو جهل يقول: يا الله يا الرحمان. فقال: إنّه ينهانا أن نعبد إلهين. وهو يدعو إلاها آخر. وروى الطبري والواحدي وابن عباس قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم ساجدا يدعوا ربّه يا رحيم، فقال المشركون: هذا يزعم أنّه يدعوا واحدا وهو يدعوا مثنى مثنى، فأنزل الله الآية الكريمة وعليه فالاقتصار على التخيير في الدعاء بين اسم الله وبين صفة الرحمان اكتفاء، أي والرحيم. و"**أيّ**" اسم استفهام في الأصل فإذا اقترنت بها (ما) الزائدة أفادت الشرط كما تفيده كيف إذا اقترنت بها "**ما**" الزائدة لذلك جزم الفعل بعدها "**تدعو**" شرطا، وجيء لها بجواب مقترن بالفاء وهو «فله الأسماء الحسنى». [2]

ففي الآية الكريمة قدم المفعول به «**أيّا**» على الفعل (تدعو) لأن مقام السياق اقتضى ذلك فالله سبحانه وتعالى أنزل هذه الآية ردّا على أبو جهل والمشركين، عندما سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلاته يدعو الله باسمه وبصفته وهي الرحمان فقالوا عنه أنّه يدعوا إلا هين وينهانا أن نعبد إلهين فقال تعالى مخاطبا رسوله الكريم: «أيّا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى».

و**التقدير**: أيّ اسم من أسمائه تعالى تدعون فلا حرج في دعائه بعده أسماء إذ له الأسماء الحسنى وإذ المسمى واحد.

الحالة الثالثة: أن يكون منصوبا بجواب أمّا المقرون بفاء الجزاء وليس لهذا الجواب منصوبا مقدما غيره.

مثال:

قال تعالى: ﴿**فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ**﴾ سورة الضحى [الآية 9-10].

[1] مرجع سابق: أحمد عبيد، الدعاس وآخرون. ص 207.

[2] ينظر: محمد الطاهر، بن عاشور. تفسير التحرير والتنوير. د ط، ج15، تونس: الدار التونسية للنشر، 1884، ص 236.

اليتيم والسائل: مفعولان للفعلين الواقعين جوابا (لأما) التفصيلية التي فيها معنى الشرط. وقد تقدم المفعولان ليكونا فاصلين بين: أمّا وجوابها. [1]

فأما اليتيم فلا تقهر: أي؛ لا تسيء معاملة اليتيم ولا يضق صدرك عليه ولا تنهره، بل أكرمه وأعطاه ما تيسر، واصنع به كما تحب أن يصنع بولدك من بعدك.

وأما السائل فلا تنهر: أي؛ لا يصدر منك إلى السائل كلام يقتضي رده عن مطلوبه بنهر وشراسة خلق بل إعطه ما تيسر عندك أورده بمعروف وإحسان وهذا يدخل فيه السائل للمال والسائل للعلم، ولهذا كان المعلم مأمورا بحسن الخلق مع المتعلم ومباشرته بالإكرام والتحنن عليه. فإنّ في ذلك معونة له على مقصد وإكراما لمن كان يسعى في نفع العباد والبلاد.[2]

فالخطاب موجه للنبي صلى الله عليه وسلم فمقتضى الأمر في هذين الموضعين، وأصل الأمر الوجوب، فيعلم أنّ النبي صلى الله عليه وسلم واجب عليه ما أمر به، وأمّا مخاطبة أمته بذلك فتجري على أصل مساواة الأمة لنبيها الكريم. والخطاب للنبي والحكم عام له ولغيره.[3] ولهذا الغرض قدّم المفعول به (اليتيم والسائل)

III- تقديم خبر النواسخ على اسمها:

1- إنّ وأخواتها:

- **تقديم خبر "إنّ" على اسمها:**

يتقدم خبر "إنّ" على اسمها في موضعين سنذكرهما مع التمثيل من الخطاب القرآني.

الحالة الأولى: إذا كان الخبر شبه جملة: جار ومجرور أو ظرف.

[1] مرجع سابق: هادي، نهر، ج2. ص 562.

[2] مرجع سابق: عبد الرحمان بن ناصر، السعدي. ص 1095.

[3] مرجع سابق: محمد الطاهر، بن عاشور. ج30. ص ص 401-404.

مثال 1: قوله تعالى:﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴾ سورة الحجرات [الآية 07]

الشاهد النحوي: أنّ فيكم رسول الله.

إنّ: حرف مشبه بالفعل يفيد التوكيد.

في: حرف جرّ.

كم: ضمير متصل في محل جرّ اسم مجرور. وشبه الجملة (جار ومجرور) في محل رفع خبر "إنّ".

رسول: اسم "إنّ" مؤخر منصوب بالفتحة وهو مضاف.

في هذه الآية توجيه للاهتمام والعناية بالمتلقين فالآية ابتدأت ب «واعلموا» للاهتمام فالمولى عزّوجل يخاطب المسلمين ويعلمهم بإتباع ما شرع لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو كانت غير موافقة لرغباتهم. [1]

ويرى "**ابن عاشور**" في تفسيره التحرير والتنوير علّة، تقديم خبر "إنّ" على اسمها في هذه الآية الاهتمام بهذا الكون فيهم والتنبيه على أنّ واجبهم الاتعاظ بالرسول صلى الله عليه وسلم والإخلاص له لأن كونه فيهم شرف عظيم لجماعتهم وصلاح لهم.[2]

فالتقديم والتأخير في هذه الآية غرضه توجيه عناية المتلقي (أو المتلقين) وتنبيههم إلى أنّ الرسول (فيهم) ومعهم وبهذا يكون سبب التقديم استجابة لباعث خارجي تمثل في لفت انتباه المتلقين أو المتلقي عموما إلى أنّ الرسول (فيهم) فالنظم على هذه الصورة إنّما تحكم فيها هيئة المخاطبين، والرغبة في التأثير فيهم.

المثال 2:

قال تعالى:﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ﴾ سورة الشرح [الآية 5].

[1] ينظر: مرجع سابق: محمد الطاهر، بن عاشور. ج26. ص 234.
[2] مرجع نفسه. ج26. ص 235.

فإن: الفاء للاستئناف و «**إنّ**» حرف مشبه بالفعل.

مع: ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر إنّ المقدم (**العسر**) مضاف إليه.

يُسْرا: اسم إنّ المؤخر. [1]

سورة الشرح سورة مكية تدعوا إلى التمسك بالدّين والدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له والاتصاف بمكارم الأخلاق والإقبال على الآخرة وتسهيل الخيرات، فقوله «**فإنّ مع العسر يُسْرا**». فالله عزوجل يبشرهم ببشارة عظيمة، وأنّه كلما وجد عسر وصعوبة، فإنّ اليسر يقارنه ويصاحبه، كما قال الله تعالى: ﴿**سَيَجعَلُ الله بَعدَهُ عسْرٍ يُسْرا**﴾[2]

وفي قوله هذا يقول "**ابن عاشور**" في تفسيره التحرير والتنوير: «**وسياق الكلام وعد للنبي صلى الله عليه وسلم بأن ييسر الله له المصاعب كلّما عرضت له، فاليسر لا يتخلف عن اللحاق بتلك المصاعب، وذلك من خصائص كلمة (مع) الدالة على المصاحبة**»[3]

والخطاب في هذه الآية موجه للنبي وأمته فالله يعد الرسول وأمته من المسلمين بهذا الوعد لأن ما يعرض له من عسر إنّما بعرض له في شؤون دعوته للدين وصالح المسلمين.

وروى ابن جرير عن يونس ومعمر عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لما نزلت هذه الآية «فإنّ مع اليسر يسرا» قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أبشروا أتاكم اليسر لن يغلب عسر يسرين» فافتضى أنّ الآية غير خاصة يا لنبي صلى الله عليه وسلم بل تعمه وأمته.[4]

ففي الآية الكريمة «فإنّ مع العسر يسرا» خطاب من المولى عزوجل موجه إلى المتلقين، وفيه وعد من الله عزوجل إلى نبيه الكريم وأمته من المسلمين الذين آمنوا بنبوته واستجابوا لرسالته فوعدهم الله بأنّ يرسل مع كل عسر يسرا، وكلّما تعرض للمصاعب أرسل الله له يسرا. فقدّم المولى عزوجل خبر إنّ «مع العسر» على اسمها «يسرا» وهذا وفقا لما يقتضيه السياق لأن العسر سابق لليسر فلولا العسر لما جاء اليسر.

---

[1] أحمد عبيد، الدّعاس وآخرون. إعراب القرآن الكريم. ط1، ج3، دمشق: دار النمير للطباعة والنشر، 2004، ص 455.

[2] مرجع سابق: عبد الرحمان بن ناصر، السعدي. ص 1096.

[3] محمد الطاهر، بن عاشور. تفسير التحرير والتنوير. د ط، ج30، تونس: الدار التونسية للنشر، 1884، ص 413.

[4] مرجع سابق: ابن عاشور، ج30. ص 414.

الحالة الثانية: إذا كان في الاسم ضمير يعود على جزء من الخبر.

مثال:

قوله تعالى:﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴾ سورة الغاشية [الآية 25-26].

قدم خبر "إنّ" شبه جملة (جار ومجرور) في موضعين:

- **الموضع الأول**: جاء اسمها المؤخر (إيَّابهم).
- **الموضع الثاني**: جاء فيه اسمها المؤخر (حِسَابَهُمْ).[1]

وتشير الآية إلى أنّ فيها تعهدا بحتمية المعاد والحساب، حيث قال "**الزمخشري**" «فإن قلت ما معنى تقديم الظرف؟ قلت: معناه التشديد في الوعيد، وأنّ إيّابهم ليس إلاّ إلى الجبّار المقتدر على الانتقام وإنّ حسابهم ليس بواجب إلاّ عليه، وهو الذي يحاسب على النقير والقطمير».[2]

يرى المفسرون علة تقديم خبر "**إنّ**" على اسمها في هذه الآية يعود إلى التعهد بحتمية الميعاد والحساب، فالله سبحانه وتعالى يقدم رسالة للكفار المشركين يعدهم فيها بأنّه لا مفّر من يوم يبعث النّاس فيه من جديد وسيحاسبهم على أعمالهم، ويقول "**ابن عاشور**": «وتقديم خبر إنّ على اسمها يظهر أنه لمجرد الاهتمام تحقيقها لهذا الرجوع لأنهم ينكرونه، وتنبيها على إمكانه بأنه رجوع إلى الذي أنشأهم أول مرة» [3]، وبهذا فإن المولى عزوجل قدم خبر إنّ على اسمها في هاتين الآيتين مراعاة لحال المخاطبين وتنبيها لهم وتعهدا بحتمية المعاد والحساب.

2- كان وأخواتها:

- **تقديم خبر كان على اسمها:**

الحالة الأولى: إذا كان الخبر تركيبا اسناديا أي جملة فعلية أو اسمية أو شبه جملة.

[1] محمد نوري بن محمد، بارتجي. الياقوت والمرجان في اعراب القرآن الكريم. ط1، الأردن-عمان: دار الأعلام للنشر والتوزيع، 2002، ص 600.
[2] الزمخشري. تفسير الكشاف. ط3، بيروت-لبنان: دار المعرفة للطباعة والنشر، 2009، ص 1198.
[3] مرجع سابق: ابن عاشور، ج30. ص 308.

مثال: كون الخبر شبه جملة.

قال الله تعالى: ﴿ **أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ** ﴾ سورة يونس [الآية 02].

الشاهد النحوي: « **أَكانَ للنَّاسِ عَجباً أنْ أوْحَيْنا** »

«**أكان**» الهمزة للتوبيخ، كان: فعل ماضي ناقص مبني على الفتح.

«**للناس**» متعلقان بمحذوف خبر مقدم (عجبا) خبر كان مقدم.

«**أنْ أَوْحينَا**» أن: حرف مصدر وتوكيد، **أوحينا**: فعل+فاعل، والمصدر المؤول (أن أوحينا) اسم كان مؤخر. بمنزلة قولك إيحاؤنا.

قال ابن عباس والمفسرون عجبت قريش من إرسال الله محمدا صلى الله عليه وسلم إلى العباد، وقالوا: أما وجد الله تعالى من يرسله إلينا إلاّ يتيم أبي طالب؟!، فأنزل الله تعالى هذه الآية ردّا على قول قريش، والألف فيه جاء للتوبيخ والإنكار، ويعني بالنّاس أهل مكة.[1]

وأشار "**محمد الطاهر بن عاشور**" في تفسيره التحرير والتنوير إلى هذه الطائفة من النّاس حيث قال: «وأطلق (الناس) على طائفة من البشر، والمراد المركون من أهل مكة لأنهم المقصود من هذا الكلام».[2]

تقدم خبر كان (**عَجباً**) على اسمها للاهتمام به لأنه محل الإنكار. و«عجباً» جاءت دلالة على التعجيب من تعجبّهم المراد به إحالة الوحي إلى بشر.[3]

التقديم جاء هنا لغرض الإنكار، فقدّم خبر كان (عَجباً) على اسمها (أَنْ أَوْحَيْنَا) في هذه الآية استجابة للسياق (سبب نزول هذه الآية) الذي وردت فيه، فالتقديم هنا جاء مراعاة لمقصدية المتكلم وحال المتلقي لأنّ الله في هذا النظم أراد أن يخبر بتعجب المشركين من كون محمد صلى الله عليه وسلم رسول وهو بشر مثلهم.

ولا يخفى ما للمقصدية من أثر في هذا الفهم، فهي تشترك في بيان نوعية مرجعية النص من جهة، وتحديد مرجعية التفسير والتأويل من جهة أخرى.[4] فالتقديم هنا جاء: مرتبط بحالة التعجب عند المتلقين.

---

[1] أبي الحسن علي بن أحمد، بن محمد الواحدي. التفسير البسيط. تح: عبد الله بن إبراهيم الريس. دط، ج11، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، دت، ص 117.

[2] مرجع سابق: محمد الطاهر ، بن عاشور، ج11. ص 83.

[3] م ن. ص ن.

[4] مؤيد عيد أل صونيت. (الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي). أطروحة دكتوراه متقدم بها إلى مجلس كلية الآداب في الجامعة المستنصرية، 2009، ص 105.

مثال2: إذا كان الخبر جملة فعلية.

قال تعالى:﴿ **أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ وَأَنۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقۡتَرَبَ أَجَلُهُمۡۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ** ﴾ سورة الأعراف [الآية 185].

الشاهد النحوي في الآية: «**أنْ يكون قد اقترب أَجَلُهُمْ**»

يذكر النحاة وجهين للإعراب:

*__أحدهما__: اسم "يكون" (**أجلهم**) والخبر مقدم عبارة عن جملة فعلية (**قد اقترب**).

*__الثاني__: أن يكون الضمير المستتر تقديره "**هو**" ، والخبر جملة فعلية (قد اقترب أجلهم) خبر "**يكون**".

أمّا من جهة المعنى، فإنّ هذا النظم داخل في مجال الإنكار والتوبيخ، لتأخيرهم النظر والتأمّل المنصوص في الآيات السابقة؛ أي لعلّهم يموتون عمّا قريب فمالهم لا يسارعون إلى التدبّر في الآيات الكونية الشاهدة بما كذبوه في الآيات القرآنية.[1]

هذا ما فسّره بعض المفسرين، أمّا المفسر "**ابن عاشور**" في تفسيره «**التحرير والتنوير**» فهو يرى أنّ ما بعد "**يكون**" غير صالح لأن يعتبر اسما "**لكان**" حيث يقول: «واسم يكون ضمير شأن محذوف لأن ما بعد "يكون" غير صالح لأن يعتبر اسما "لكان"، والمعنى ألم ينظروا في توقع قرب أجلهم».[2]

وبهذا التأويل يكون "**ابن عاشور**" قد أيّد النحاة في توجيههم للإعراب النحوي: الذي كنّا قد ذكرناه سابقا في الوجه الثاني للإعراب.

وقال في تفسير المعنى: «وصيغ الكلام على هذا النظم لإفادة تهويل الأمر عليهم وتخويفهم، بجعل متعلق النظر من معنى الإخبار للدلالة على أنّه أمر من شأنه أنّ يخطر في النفوس، وأنّ يتحدث به النّاس، وأنّه قد صار حديثا وخبرا فكأنه مسلم مقرر. ومعنى النظر في توقع اقتراب الأجل التخوف من ذلك».[3]

وبهذا نرى أنّ التقديم جاء في هذا النظم استجابة لحال المخاطبين فالله أراد بتقديم (قد اقترب) خبر يكون على (أجلهم) اسم يكون لإفادة التهويل وتخويفهم من اقتراب الأجل، ويموتون ولا يزالون مشركين، ويجوز أن يكون

[1] عبد الرحمان بن ناصر، السعدي. تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان. تح: عبد الرحمان بن معلى اللويحق. ط 2. الرياض: دار السلام للنشر والتوزيع، 2002، ص 299.

[2] محمد الطاهر، بن عاشور. تفسير التحرير والتنوير. د ط، ج8، تونس: الدار التونسية للنشر والتوزيع، 1884، ص 197.

[3] م ن. ص ن.

المراد بالأجل: مجيء الساعة، وانقراض هذا العالم، فهو أجلهم وأجل غيرهم من النّاس فيكون تخويفا من يوم الجزاء.

الحالة الثانية: إذا كان الخبر من الأسماء التي لها الصدارة في الكلام كأسماء الاستفهام.

مثال1: قوله تعالى:﴿ **فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ** ﴾ سورة الزخرف [الآية 25].

الشاهد النحوي في الآية: (**كيف كان عاقبة المكذبين**)

كيف: اسم استفهام مبني من الأسماء التي لها صدر الكلام، في محل نصب خبر مقدم.

عاقبة: اسم "كان" مرفوع وعلامة رفعه الضمة وهو مضاف.

المكذبين: مضاف إليه مجرور بالياء لأنّه جمع مذكر السالم.

يقول "**بن عاشور**" في تفسير الآية: فالنظر في قوله (فأنظر كيف كان عاقبة المكذبين) نظر التفكر والتأمل فيما قصّ الله على رسوله من أخبارهم.

وهذا النظم تفريع على جملة «قالوا إنّا بما أرسلتهم به كافرون» أي؛ انتقمنا منهم عقب تصريحهم بتكذيب الرسّل، وتهديد بالانتقام من الذين شابهوهم في مقالهم، وهم كفّار قريش.[1]

فالتقديم جاء في هذه الآية مراعاة لحال المكذبّين، فكيف استفهام عن الحالة وهو قد علّق فعل النظر عن مفعوله، فالله قدم الخبر على الناسخ وعلى الاسم استجابة لحال المتلقين فهوا أراد بهذا تهديد ووعيد بالانتقام لما كان يصرحون به بتكذيب الرسول الكريم. فيريد بهذا إذن: تنبيه المتلقي لعاقبة وجزاء أولئك المكذبين للرسول صلى الله عليه وسلم.

مثال2:

قال الله تعالى:﴿ **فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ** ﴾ سورة القصص [الآية 40].

[1] مرجع سابق: محمد الطاهر، بن عاشور. ص 191.

الشاهد النحوي: «**كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَالِمِينَ**»

كيف: اسم استفهام في محل نصب خبر كان مقدم.

كان: فعل ماض ناقص.

عَاقِبَةُ: اسم كان مؤخر وهو مضاف.

الظَالمِينَ: مضاف إليه. [1]

في تفسير التحرير والتنوير إشارة "**لابن عاشور**" في تفسير هذه الآية فيقول:« وقوله «**فانظر كَيْفَ كَانَ عَاقِبة الظَالِمِينَ**» اعتبار بسوء عاقبتهم لأجل ظلمهم أنفسهم بالكفر وظلمهم الرسول بالاستكبار عن سماع دعوته. وهذا موضع العبرة من سوق هذه القصة ليعتبر بها المشركون فيقيسوا حال دعوة محمد صلى الله عليه وسلم بحال دعوة موسى عليه السلام ويقيسوا حالهم بحال فرعون وقومه، فيوقنوا بأنّ ما أصاب فرعون وقومه من عقاب شديد سيصيبهم لا محالة». [2]

في هذه الآية خطاب من العزيز الحكيم إلى المخاطبين أو المتلقين (المشركين) الذين يستكبرون عن سماع دعوة الأنبياء والرسل الذين أرسلهم الله لهدايتهم ودعوتهم إلى الإيمان بالله وحده لا شريك له، حتى يعتبروا مما سبقهم من المشركين وما نالوا من عقاب حين استكبروا عن دعوة رسلهم، مثل ما فعل الله بآل فرعون.

فقدّم المولى عزوجل خبر(كان) «**كَيْفَ**» على اسمها حتى يعتبر المتلقي والمخاطب (أي المشركين) بحال ما أصاب سابقيهم حين رفضوا دعوة رسلهم، وأنّ كل مقدور وإن عظم فهو مستصغر أمام قدرته عزوجل.

والتقديم الوارد هنا في هذه الآية جاء مراعيا لمقصدية المتكلم (الله سبحانه وتعالى) أي المقاصد التي ينوي إبلاغها المتكلم إلى المتلقي والمخاطب (المشركين) مع ضرورة مراعاة السياق والمقام.

[1] مرجع سابق: أحمد عبيد، الدعاس وآخرون. ج2. ص ص 431-432.

[2] مرجع سابق: محمد الطاهر، بن عاشور، ج20. ص 25.

الحالة الثالثة: أن يضاف للاسم ضمير يعود إلى شيء في الخبر.

مثال1:

قال الله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾ سورة البقرة [الآية 114].

الشاهد النحوي: «مَا كانَ لَهُمْ أنْ يَدْخلُوها»

ما كان: ما حرف نفي، كان فعل ماض ناقص مبني على الفتح.

لهم: اللام حرف جر، والضمير هم ضمير متصل في محل جر اسم مجرور وشبه الجملة (جار ومجرور) متعلقان بمحذوف خبر مقدم لكان.

أن: حرف مصدري ونصب واستقبال.

يدخلونها: يدخلوا: فعل مضارع منصوب بأن وعلامة نصبه حذف النون، والواو: ضمير جماعة في محل رفع فاعل والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به والمصدر المؤول (**أن يدخلونها**) في محل رفع اسم كان مؤخر.[1]

تعددت الآراء حول سبب نزول هذه الآية فيذكر "**ابن عاشور**" سبب نزولها، ويرجحه إلى أنها نازلة في مشركي العرب فيقول: «والآية نازلة في مشركي العرب كما في رواية عطاء عن ابن عبّاس وهو الذي يقتضيه قوله: «**أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين**» الآية تشير إلى منع أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين من الدخول إلى مكة. فالمشركون بعملهم هذا وظلمهم يبينون أنه في ذلك لم يبلغهم أحد ممّن سبقهم، إذ قاموا بأبشع الأعمال فمنعوا مساجد الله وسدوا طريق الهدى وحالوا بين الناس وبين زيارة المسجد الحرام الذي هو فخرهم وسبب مكانتهم وليس هذا شأن طالب صلاح الخلف بل هذا شأن الحاسد المغتاظ. [2]

[1] أحمد قاسم، كسار. "التقديم والتأخير في سورة البقرة". المجلة العالمية لبحوث القرآن. دون عدد، د ت. ص 45.

[2] مرجع سابق: محمد الطاهر، بن عاشور. ص 679.

وقوله: «**مَا كانَ لهم أنْ يدخُلوها إلا خائفين**» جملة مستأنفة تغني عن سؤال الناشئ عن قوله «**مَنْ أظْلمُ**» أو عن قوله: «**سعى**» لأنّ السامع إذا علم أنّ فاعل هذا أظلم النّاس أو سمع هذه الجرأة وهي السعي في الخراب نطلب بيان جزاء من اتصف بذلك أو فعل هذا، ويجوز كونها اعتراضا بين «من أظلم» وقوله: «ولهم في الدنيا خزيٌ».

فالمقصود من هذا النظم ليس هو بيان جزاء فعلهم أو التحذير منه بل المقصود بيان هاته الحالة العجيبة من أحوال المشركين، ثم يرتب العقاب على ذلك.

جاء التقديم في هذه الآية وغرضه الأول الوعيد للمشركين فالله قدّر عليهم أنّ ترفع أيديهم من التصرف في المسجد الحرام وشعائر الله هناك فتصير للمسلمين فيكون بعد ذلك لا يدخلون المسجد الحرام إلا خائفين.

وغرضه الثاني من هذا التقديم هو: وعد المؤمنين، وقد صدق الله وعده يوم فتح مكة.

وبهذا نرى أنّ التقديم جاء استجابة لحال المتلقي ومراعاة للمقام الذي جاء الله به في هذه الآية وهو مقام المنع والسعي في الخراب.

مثال2:

قوله تعالى: ﴿ **لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ** ﴾ سورة البقرة [الآية 177].

الشاهد النحوي: «لَيْسَ البرَّ أنْ تَولُّوا»

أخرج عبد الرّزاق، بن معمر، عن قتادة قال: «كانت اليهود تصلي قبل المغرب، والنّصارى قبل المشرق، فنزلت هذه الآية»

ووقع في الكشاف: وقيل: كثر خوض المسلمين وأهل الكتاب في أمر القبلة، فنزلت «ليس البرّ أن تولّوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب»

وقال الواحدي: قال قتادة: «ذكرنا لنا: أنّ رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية».[1]

قرأ الجمهور:

***ليس البرّ**: يرفع البرّ على أنه: اسم "ليس" والخبر هو (أنّ تولّوا)

***ليس البرّ**: ينصب البرّ. قرأه حمزة وحفص عن عاصم ينصب البرّ على أنّ قوله (أن تولّوا) اسم "ليس" مؤخر، ويكثر في كلام العرب تقديم الخبر على الاسم في باب "كان وأخواتها" إذا كان أحد معمولي هذا الباب مركبا من أن المصدرية وفعلها.[2]

– فتوجيه قراءة رفع البرّ أنّ البرّ أمر مشهور معروف لأهل الأديان مرغوب للجميع، فإذا جعل المبتدأ في حالة نفي أصنعت لأسماع إلى الخبر.

– أمّا توجيه قراءة النصب فلانّ أمر استقبال القبلة هو الشغل الشاغل لهم، فإذا ذكر خبره قبله ترقب السامع المبتدأ، فإذا سمعه تقرر في علمه.[3]

يشير المفسر ابن عاشور إلى قضية تداولية المتمثلة في: السامع أو المتلقي.

فالتقديم جاء في هذا النظم لمراعاة حال السامع، فالله أنزل هذه الآية وقدم فيها (البرّ) كونه خبر كان على اسمها (أن تولوا) وهذا عائد إلى أنّ البر هو الشغل الشاغل عندهم وهو المخبر عنه والذي أراد الله به أن يلتفت إليه السامع وتتضح له رتبة المبتدأ، فمن خلال هذا وذاك نلتمس نقطة الالتقاء الموجودة بين مباحث الدرس اللساني التداولي والمفسرين لكلام الله (مراعاة المخاطِبْ، المخاطَبْ، السياق، ظروف التنزيل)

مثال:

قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمۡنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ** ﴾ سورة الروم [الآية 47].

[1] شهاب الدين، بن حجر العسقلاني. العجاب في بيان الأسباب. تح: أبو عبد الرحمان فواز أحمد زمرلي. ط1، بيروت–لبنان: دار ابن حزم للطباعة والنشر، 2002، ص 236.

[2] مرجع سابق: محمد الطاهر، بن عاشور. ص 128.

[3] مرجع نفسه. ص 129.

الشاهد النحوي: «وَكانَ حَقاً عَلَيْنَا نصْرُ المؤْمنينَ»

وكان: الواو حرف عطف، وكان: فعل ماض ناقص.

حقا: خبر مقدم.

نصر المؤمنين: نصر: اسم كان مؤخر وهو مضاف. المؤمنين: مضاف إليه. [1]

ورد في تفسير «**وكَانَ حقاً علينا نصْرُ المؤْمِنينَ**»

قول عبد الرحمان بن ناصر السعدي في كتابه تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان: «أي: وجبنا ذلك على أنفسنا، وجعلناه من جملة الحقوق المتعينة ووعدناهم به، فلابدّ من وقوعه فأنتم أيها المكذبون لمحمد صلى الله عليه وسلم، إن بقيتم على تكذيبكم، حلت بكم العقوبة، ونصرناه عليكم» [2]

ويقول "**ابن عاشور**" في تفسيره التحرير والتنوير مفسرا هذه الآية: «فأريد تحذير المكذبين من قريش أن يصيبهم ما أصاب المكذبين قبلهم، وكان في تلك النقمة نصر المؤمنين، أي نصر الرسل وأتباعهم».[3]

وكلمة «**حقا علينا**» من صيغ الالتزام، قال تعالى في حكاية موسى عليه السلام «حقيق عليا أن لا أقول على الله إلاّ الحق»، وهو محقوق بكذا، أي لازم له.

وقد اختصر طريق الإفصاح عن هذا الغرض، أعني غرض الوعد بالنصر والوعيد له فأدرج تحت ذكر النصر معنى الانتصار، وأدرج ذكر الفريقين:

فريق المصدقين: الموعود.

فريق المكذبين: المتوعّد. وقد أخلي الكلام أوّلا عن ذكرهما.[4]

[1] أحمد عبيد، الدعاس وآخرون. إعراب القرآن الكريم. ط1، ج3، دمشق: دار النمر للطباعة والنشر، 2004، ص 20.

[2] عبد الرحمان بن ناصر السعدي. تسيير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان. تح: عبد الرحمان بن معلا اللويحق. ط2، الرياض: دار السلام للنشر والتوزيع، 2002، ص 756.

[3] مرجع سابق: محمد الطاهر، بن عاشور. ج21. ص 119.

[4] مرجع نفسه. ص 120.

والتقديم والتأخير الوارد في هذه الآية تقديم (**حقاً**) **خبر كان على اسمها** جاء مراعاة لحال المخاطبين (المؤمنين) لأنّ فيه إشعار للمؤمنين بالنصر المحقق الذي وعدهم الله به فقدّم المولى عزوجل (**حقا**) التزاما لما وعد به المؤمنين فإنّ وعد الصادق حقٌ.

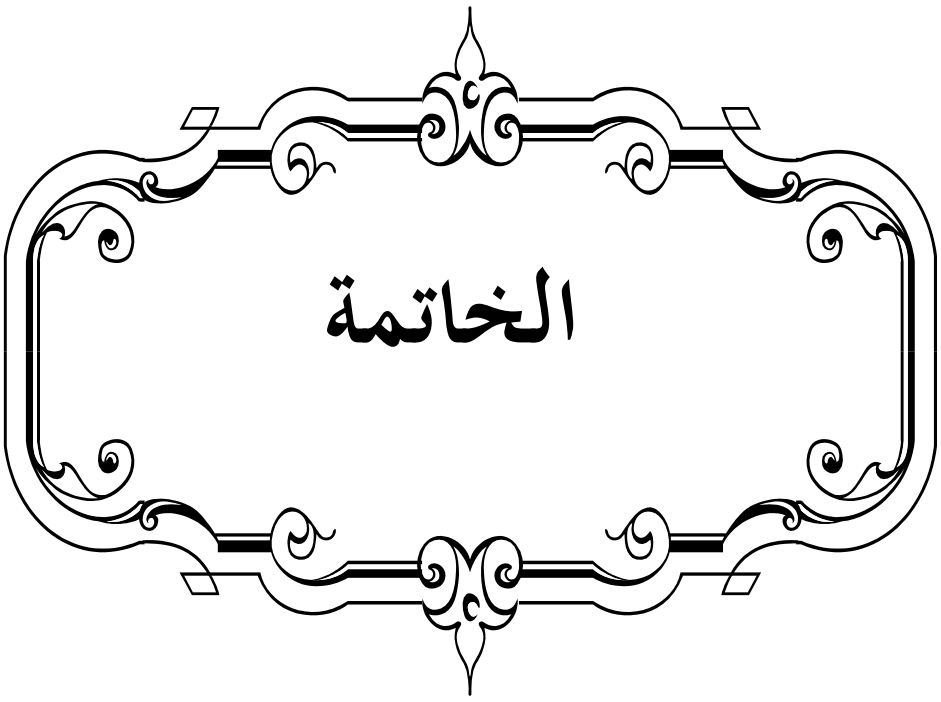
الخاتمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، له الحمد في الأولى والآخرة، والصلاة والسلام على رسوله الكريم خاتم النبيين والمرسلين، فلكل بداية نهاية وخير الأعمال خواتمها، وخير خاتمة لهذا البحث حوصلة تضم أهم النتائج المستخلصة من هذه الدراسة.

وعليه من بين أهم النقاط التي توصلنا إليها من هذا البحث هي:

1- أكد البحث على أنّ التداولية علم حديث النشأة، ظهرت أسسه ونظرياته عند الغرب في العقد السابع من القرن العشرين.

2- انبثقت النظرية التداولية من رحم الفلسفة التحليلية.

3- أكدّ البحث على أنّ البحث اللساني التداولي تجاوز الدّراسة الشكلية للغة (البنية) إلى ما يحيط بها من متكلم، مستمع، دلالة، وسياق غيرها (اللغة قيد الاستعمال)

4- أكد البحث على أنّ التداولية تهتم بالمتخاطبين: متكلّم ومتلقي ومقاصدهم وبالسيّاق الذي ترد فيه مع مراعاة المقام.

5- أكد البحث على أنّ الدرس العربي القديم تميّز بمنهج تحليلي تداولي من خلال دراسته للنصوص وتحليلها؛ فالعرب هم السبّاقون في ممارسة هذا المنهج إلاّ أنّ دراستهم كانت تطبيقية لا تنظيرية وهذا ما جعل الغرب يتفقون فيه.

6- أكد البحث على أنّ التداولية تشترك مع العديد من العلوم التي تمد الصلة بالغلة: كعلم النحو، علم البلاغة، الأسلوبية، النحو الوظيفي، علم الاجتماع...وغيرها من العلوم جعلت مجالها واسعا ومفهوما ثريا خصبا.

7- أكد البحث على أنّ التقديم والتأخير أسلوب لغوي درسه علماء النحو بالبحث والاستقصاء منهم: سيبويه، ابن هشام، ابن جني...

8- أكد البحث على أنّ التقديم والتأخير فن من فنون البلاغة ومبحث من أفنانها (علم المعاني) أولاه علماء البلاغة اهتماما وعناية أمثال: عبد القاهر الجرجاني، عبد العزيز عتيق، رجاء عبيد....

9- إنّ تقديم بعض العناصر اللغوية على بعضها؛ أي الخروج على القاعدة النحوية الأصلية في ترتيب الجملة، فتتحول الكلمة من موضعها الأصلي لها أن تتقدم ولها أن تتأخر، وهذا التقديم عائد إلى سبب تداولي فيه مراعاة للمتخاطبين ومقاصدهم (متكلم، متلقي، سامع...) وكذا السياق الذي ترد فيه مع مراعاة المقام.

10- التقديم والتأخير مظهر من مظاهر الإعجاز البياني القرآني.

11- أكد البحث على أنّ التقديم والتأخير ظاهرة معهودة في لغة العرب قبل الإسلام وزادت لغتهم فصاحة وبلاغة وإعجازا بمجيء القرآن الذي أعلى من شرفها وقداستها.

12- أكدّ البحث على أنّ القرآن الكريم ثري بأسلوب التقديم والتأخير والذي مرده أبعاد تداولية كالسياق والمتخاطبين من متلقي أو متكلم أو سامع وكذا المقام الذي استدعى تقديم لفظة عن لفظة.

13- أكدّ البحث على أنّ للتفسير في سبب نزول الآية دور في بيان البعد التداولي للتقديم والتأخير الوارد فيها، والقرآن الكريم غني بالكثير من الآيات التي ورد فيها هذا الأسلوب وهذا ما دفعنا لإختيار هذه المدونة للدراسة والكشف عن الأبعاد التداولية للتقديم والتأخير.

14- قد يكون للتقديم والتأخير في الآية بعد تداولي مردّه إلى أسباب نزولها وتفسيرها (السياق الذي وردت فيه هذه الآية).

15- يلتقي علماء التفسير ومباحث التداولية في ثلاث عناصر أساسية هي: (المخاطب، المتلقي، وظروف التنزيل)؛ فالمفسر يؤول كلام الله عزوجل فيجده نظم نظمه تركيبا معجزا تَحكُمُهُ حِكْمَةٌ إلهية، مراعيا فيه المخَاطَبْ كون هذه الرسالة السماوية موجهة إلى النّاس كافة للهداية وعبادته وحده لا شريك له.

16- إنّ دراسة التقديم والتأخير من أقوى الوسائل الموصلة إلى معرفة سرّ الإعجاز في القرآن الكريم، وبهذا الإعجاز عجز الكثير عن محاكاته والإتيان ولو بآية منه.

فعلى طالب اللغة أن يَشُدَّ همَّتهُ ويشمِّر على ساعديه للغوص في خباياه وأسراره، فكتاب بهذه المنزلة لابد من البحث فيه والكشف عن خباياه، والتحري على ما يحتويه من حكمة وموعظة وبلاغة وإيجاز....

فسبحان الله له العِلْمُ وهو على كل شيء قدير.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

المعاجم:

1- الخليل، بن أحمد الفراهيدي. "العين"، تح: عبد الحميد هنداوي. ط1، ج3، بيروت: دار الكتب العلمية 2003.

2- ابن دريد. "جمهرة اللغة" تح: رمزي منير بلعبكي، ط2، ج1، بيروت: دار العلم للنشر والتوزيع، 1987 ص 575.

3- الراغب، الأصفهاني "مفردات ألفاظ القرآن". تح: صفوان عدنان داوودي. ط4. دمشق: دار القلم 2009.

4- الزمخشري. "أساس البلاغة ". تح: مزيد مغيم وشوقي المعري، ط1، لبنان: مكتبة لبنان ناشرون، 1998.

5- غالب، حنا. كنز اللغة العربية: "موسوعة في المترادفات والأضداد والتعابير"، فهرس الألفاظ، د ط، لبنان: مكتبة لبنان ناشرون، د ت.

6- لويس، معلوف. "المنجد في اللغة والأدب والعلوم"، ط19، بيروت: المطبعة الكاثوليكية، 2005.

7- مجمع اللغة العربية جمهورية مصر العربية "المعجم الوسيط". ط 4، القاهرة : مكتبة الشروق الدولية للطباعة والنشر، 2005

8- ابن منظور. "لسان العرب". ط1. بيروت: دار صادر للطباعة والنشر. 2000 .

الكتب:

1- إبراهيم، أنيس. من أسرار اللغة. ط6، القاهرة: مكتبة الأنجلومصرية للطباعة والنشر، 1978.

2- أحمد عبيد الله، الدّعاس وآخرون. اعراب القرآن الكريم. ط1، ج3، دمشق: دار النمير للطباعة والنشر 2004.

3- أحمد مختار عمرو مصطفى النحاس وآخرون. النحو الأساسي. ط4، الكويت: منشورات ذات السلاسل 1994.

4- أحمد مصطفى، المراغي. علوم البلاغة: البيان،المعاني،البديع. ط3، بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية.

5- أحمد، المتوكل. من البنية الحملية إلى البنية المكونية. ط1. بيروت: دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1987.

6- أحمد، الهاشمي. القواعد الأساسية للغة العربية. دط، بيروت- لبنان: دار الفكر للنشر والتوزيع، د ت.

7- أحمد، الهاشمي. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع. تح: يوسف الصميلي. دط، صيدا-بيروت: المكتبة العصرية للنشر والتوزيع، دت.

8- أحمد، بن القطان. رسالة في كان الناقصة. تح: خليل ابراهيم السمرائي. دط، بغداد: بغداد المحروسة للنشر 2011.

9- أحمد، فهد صالح شاهين. النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، ط1، إربد-الأردن: عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، 2015.

10- أحمد، محمود قدور. مبادئ اللسانيات. ط3، دمشق: دار الفكر للطباعة والنشر، 2008.

11- أحمد، مختار عمر و مصطفى النحاسي زهران وآخرون. التدريبات اللغوية والقواعد النحوية. ط2، الكويت: جامعة الكويت، 1999.

12- أحمد، مطلوب. أساليب بلاغية: الفصاحة، البلاغة، المعاني. ط1، الكويت: وكالة المطبوعات للطباعة والنشر، 1980.

13- إلفي، بولان. المقاربة التداولية للآداب. تر: محمد تنفو و ليلى أحمياني، ط1، القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع 2018.

14- أن ، روبول وجاك موشلار. التداولية اليوم: علم جديد في التواصل. تر: سيف الدين دغفوس. ط1 بيروت- لبنان: دار الطليعة للطباعة والنشر، 2003.

15- بشرى، البستاني. التداولية في البحث اللغوي والنقدي. ط 1، لندن: مؤسسة السياب للطباعة والنشر 2013.

16- البغدادي. خزانة الأدب. تح: عبد السلام هارون. ط3، ج1، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1987.

17- ابو محمود البغوي. تفسير البغوي (معالم التنزيل). ط1، بيروت-لبنان: دار ابن حزم للطباعة والنشر 2002.

18- بن فارس. الصاحبّي. تح: السيّد أحمد صقر. دط، القاهرة: مطبعة عيسى اليامي الحلبي وشركاه، د ت.

19- تمام، حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. دط، الدار البيضاء- المغرب: دار الثقافة للنشر والتوزيع 1994.

20- جمعة محمد علوة وآخرون. اللغة العربية: دراسة نظرية وتطبيقية. د ط، إربد- الأردن: دار الكندي للنشر والتوزيع، 2001.

21- ابن جني. الخصائص. تح: عبد الحميد هنداوي. ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1983.

22- جورجي شاهين، عطية. سلم اللسان في الصرف والنحو والبيان. ط4، بيروت: دار الريحاني للنشر والتوزيع د ت.

23- جوزيف، إلياس وجرجس ناصيف. الوجيز في الصرف والنحو والإعراب. دط، بيروت- لبنان: دار العلم للملايين، د ت.

24- جون لانكشو أوستين. نظرية أفعال الكلام العامة: كيف ننجز الأشياء بالكلام. تر: عبد القادر قينيني، د ط. الدار البيضاء: إفريقيا الشرق للطباعة والنشر، 1991.

25- جون، سيرل. العقل واللغة والمجتمع. (الفلسفة في العالم الواقعي)، تر: سعيد الغانمي، ط1، بيروت: الدار العربية للعلوم، 2002.

26- جيلالي، دلاش. مدخل إلى اللسانيات التداولية لطلبة معاهد اللغة العربية وآدابها. تر: محمد يحياتن، د ط الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1983.

27- حسن، بدوح. المحاورة: مقاربة تداولية. ط 1، الأردن: عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، 2012.

28- حفني، ناصف وسلطان محمد وآخرون. دروس البلاغة. تح: محمد بن صالح العثيمين، ط1، الكويت: مكتبة أهل الأثرّ للطباعة والنشر، 2004.

29- ابن الخبّاز. توجيه اللمع. تح: فايز زكي محمد دياب، ط1، القاهرة- مصر: دار السلام للطباعة والنشر 2002.

30- الخطيب القزويني. الإيضاح في علوم البلاغة. د ط، لبنان: دار الكتب العلمية. د ت.

31- ابن خلدون. مقدمة ابن خلدون. تح: عبد الله محمد درويش. ط1، دمشق: دار يعرب للنشر والتوزيع 2004.

32- خليفة ، بوجادي. في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم. ط 1، الجزائر: بيت الحكمة للنشر والتوزيع، 2009.

33- رجاء، عيد. فلسفة البلاغة: بين التقنية والتطور. ط2، الاسكندرية: منشأة المعارف، د ت.

34- الزركشي. البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم. دط، ج3، القاهرة: مكتبة دار التراث 1957.

35- الزمخشري. تفسير الكشاف. ط3، بيروت-لبنان: دار المعرفة للطباعة والنشر، 2009.

36- السبكي. طبقات الشافعية الكبرى. ط1، ج1، مصر: المطبعة الحسينية المصرية الشهيرة، د ت.

37- السبكي. عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح. ط1، ج1، تح: عبد الحميد هنداوي. صيدا-بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر.

38- سليمان، فيّاض. النحو العصري. دط، القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، د ت.

39- سناء، حميد البياتي. قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم. ط1، عمان: دار وائل للنشر والتوزيع 2003.

40- سيبويه. الكتاب. تح: عبد السلام محمد هارون. ط3، ج1، القاهرة. مكتبة الخانجي للنشر، 1988.

41- السّيد أحمد، الهاشمي. جواهر البلاغة. د ط، صيدا-لبنان: المكتبة العصرية للنشر والتوزيع، 1999.

42- صالح، بلعيد. الصرف والنحو. دط، الجزائر: دار هومة للطباعة والنشر، 2003.

43- صلاح، فضل. بلاغة الخطاب وعلم النص. د ط. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب 1992.

44- الطبري. مختصر تفسير الطبري. ط2، الجزائر: مكتبة الرحاب للطباعة والنشر، 1987.

45- طه، عبد الرحمان. تجديد المنهج في تقويم التراث. ط2، بيروت : المركز الثقافي العربي، 2005.

46- طه، عبد الرحمان. في أصول الحوار وتجديد علم الكلام. ط 1، الدار البيضاء- المغرب : المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، 2000.

47- عادل، خلف. نحو اللغة العربية. د ط، القاهرة: مكتبة الآداب للنشر والتوزيع، 1994.

48- عباس، حسن. النحو الوافي. ط3، ج2، القاهرة: دار العلوم. 1974.

49- عبد الحق، صلاح إسماعيل. التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد. ط1، بيروت- لبنان: دار التنوير للطباعة والنشر. 1993.

50- عبد الرحمان بن ناصر السعدي. تسيير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان. تح: عبد الرحمان بن معلا اللويحق. ط2، الرياض: دار السلام للنشر والتوزيع، 2002.

51- عبد الرحمان، حسن حنبكة الميداني. البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها. ط1، ج1، بيروت: دار الشامية، 1996.

52- عبد الرحيم، بن احمد العباسي. معاهد التنصيص على شواهد التلخيص. تح: محمد محي الدين عبد الحميد. دط، ج1، بيروت: عالم الكتب، 1947.

53- عبد العاطي غريب، علي علاّم. البلاغة العربية بين الناقدين الخالدين. ط1، بيروت: دار الجيل للطباعة والنشر، 1993.

54- عبد العزيز علي، حربي. البلاغة الميسرة. ط2، بيروت-لبنان: دار ابن حزم للطباعة والنشر، 2011.

55- عبد العزيز، عتيق. في البلاغة العربية، علم المعاني. ط1، بيروت-لبنان: دار النهضة العربية، 2009.

56- عبد القادر، حسين. المختصر في تاريخ البلاغة. دط، القاهرة: دار الغريب للنشر والتوزيع، 2001.

57- عبد القاهر ، الجرجاني. دلائل الإعجاز. د ط، القاهرة: مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، د ت.

58- عبد الله محمد، النقراط. الشامل في اللغة العربية. ط1، بيروت – لبنان: دار قتيبة للطباعة والنشر 2003.

59- عبد الله، جاد الكريم. التداولية في الدراسات النحوية. ط 1، القاهرة: مكتبة الآداب، 2014.

60- عبد الهادي، العدل. دراسة تفصيلية شاملة لبلاغة عبد القهار في التشبيه والتمثيل، التقديم والتأخير. دط، بيروت: دار الفكر الحديث للطباعة والنشر، 1999.

61- عبد الهادي، بن ظافر الشهري. استراتيجيات الخطاب. مقاربة لغوية تداولية، ط1، بيروت : دار الكتاب الجديد المتحدّة، 2004.

62- عبده عبد العزيز، قليقلة. البلاغة الإصطلاحية. ط3، القاهرة: دار الفكر العربي، 1992.

63- عبده، الراجحي. التطبيق النحوي. ط1، عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع، 2008.

64- العسقلاني. العجاب في بيان الأسباب. تح: أبو عبد الرحمان فواز أحمد زمرلي. ط1، بيروت-لبنان: دار ابن حزم للطباعة والنشر، 2002.

65- ابن عقيل. شرح ابن عقيل. ط20، ج1، القاهرة: دار التراث للنشر والتوزيع، 1980.

66- علي، أبو المكارم. الجملة الاسمية. ط1، القاهرة: مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، 2007.

67- علي، أبو المكارم. الجملة الفعلية. ط1، القاهرة: مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، 2007.

68- علي، أيت أوشان. السياق والنص الشعري: من البنية إلى القراءة. ط1. الدار البيضاء: دار الثقافة للنشر والتوزيع. 2000.

69- عمر بن عبد المجيد، البيانوني. قواعد التقديم والتأخير عند المفسرين. د ط، د ت.

70- عياشي، أدرداي. الإستلزام الحواري في التداول اللساني. د ط، المغرب: منشورات الإختلاف: دار الزمان 2011.

71- عيسى، عليّ العاكوب وعليّ سعد الشتيوي. الكافي في علوم البلاغة العربية: المعاني والبيان والبديع، دط الإسكندرية: الجامعة المفتوحة للنشر والتوزيع، 1993.

72- غادة أحمد، قاسم البواب. التقديم والتأخير في المثل العربي. دراسة نحوية بلاغية. دط، الأردن: وزارة الثقافة للنشر والتوزيع، 2011.

73- فاضل، صالح السمرائي. معاني النحو. ط1، عمان: دار الفكر للطباعة والنشر، 2000.

74- الفاكهي. شرح كتاب الحدود في النحو. تح: المتولى رمضان أحمد الدميري. دط، القاهرة: دار التضامن للطباعة، 1988.

75- أبي فداء اسماعيل بن عمر، بن كثير القرشي الدمشقي. تفسير القرآن الكريم. ط1، بيروت-لبنان: دار ابن حزم للطباعة والنشر.

76- فرانسواز، أرمينكو. المقاربة التداولية. تر: سعيد علوّش، د ط، الرباط: دار الإنماء القومي، 1986.

77- فضل، عباس. البلاغة : فنونها وأفنانها. ط4، أربد-لبنان: دار الفرقان للنشر والتوزيع، 1997.

78- فيليب، بلاشيه. التداولية من أوستن إلى غوفمان. تر: صابر الحباشة، ط1، سوريا : دار الحوار للنشر والتوزيع، 2007.

79- قدور، عمران. البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني. ط 1، الأردن: جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع. 2011.

80- ابن مالك. الألفية. دط، بيروت – لبنان: المكتبة الشعبية، د ت.

81- ابن مالك. شرح تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد. ط1، ج1، تح: محمد عبد القادر عطا، قادر فتحي السيّد، بيروت- لبنان: دار الكتب العلمية، 2001.

82- محمد أحمد، القاسم ومحي الدين ديب. علوم البلاغة: البديع، البيان، المعاني. ط1، طرابلس- لبنان: المؤسسة الحديثة للكتاب،2003.

83- محمد الطاهر، بن عاشور. تفسير التحرير والتنوير. د ط، تونس: الدار التونسية للنشر، 1884.

84- محمد بن صالح. العثيمين. شرح الأجرومية. ط1، الرياض: مكتبة الرشد ناشرون، 2005.

85- محمد سليمان، ياقوت. النحو التعليمي والتطبيق في القرآن الكريم.دط، الكويت: مكتبة المنار الإسلامية 1996.

86- محمد عابد، الجابري. مدخل إلى القرآن الكريم، ط1، بيروت-لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية 2006.

87- محمد محمود السيد، أبو حسين. الدرس التداولي في ضوء علم اللغة الحديث. دط، القاهرة: مكتبة دار الفكر العربي، 2010.

88- محمد نوري بن محمد، بارتجي. الياقوت والمرجان في اعراب القرآن. ط1، الأردن: دار الإعلام للنشر والتوزيع، 2006.

89- محمد، عبد المطلب. البلاغة العربية، قراءة أخرى. ط2، القاهرة: شركة أبو الهول للنشر والتوزيع، د ت.

90- محمد، علي الصابوني. التبيان في علوم القرآن. ط1، كرانشي- باكستان: مكتبة البشرى للطباعة والنشر 2010.

91- محمد، عيد. النحو المصفى. دط، القاهرة: مكتبة الشباب ناشرون، د ت.

92- محمد، محمود السيد أبو حسين. الدرس التداولي في ضوء علم اللغة الحديث. د ط، القاهرة: مكتبة دار الفكر العربي، 2010.

93- محمد، مهران رشوان. مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة. ط 2، القاهرة: دار الثقافة، 1984.

94- محمد، يونس علي. مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب. ط1، بيروت : دار الكتاب الجديد، 2004.

95- محمود حسني، مغالسة. النحو الشافي. ط3، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، 1997.

96- محمود، أحمد السيّد. أساسيات القواعد النحوية. مصطلحا وتطبيقا. ط3، دمشق: منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، 2011.

97- محمود، أحمد نحلة. أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر. د ط، الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية للنشر والتوزيع، 2002.

98- محمود، عكاشة. النظرية البراغماتية اللسانية (التداولية): دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ. ط1، القاهرة: مكتبة الآداب للنشر والتوزيع، 2012.

99- محمود، فهمي زيدان. في فلسفة اللغة. د ط، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1985.

100- مسعود، صحراوي. التداولية عند العلماء العرب. ط1، بيروت- لبنان: دار الطليعة للطباعة والنشر 2005.

101- مصطفى، الغلاييني. جامع الدروس العربية. دط، ج3، صيدا – بيروت: منشورات المكتبة العصرية 1912.

102- منّاع، القطان. مباحث في القرآن الكريم. ط7، القاهرة: مكتبة وهبة للطباعة والنشر. د ت.

103- منير محمود، الميسري. دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم. ط1، القاهرة: مكتبة وهبة للنشر والتوزيع، 2005.

104- مي إليان، الأحمر. التقديم والتأخير بين النحو والبلاغة. د ط، بيروت-لبنان: الجامعة الأمريكية، 2001.

105- نادية، رمضان النجاّر. الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي. ط 1، جامعة حلوان، 2013.

106- نخبة من العلماء. المختصر في تفسير القرآن الكريم. ط3، المملكة العربية السعودية-الرياض: مركز تفسير للدراسات القرآنية، 1436هـ.

107- نعمان، بوقرة. الخطاب الأدبي ورهانات التأويل. قراءات نصية، تداولية حجاجية. ط 1، الأردن: عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، 2012.

108- نعمان، بوقرة. المدارس اللسانية المعاصرة. د ط، القاهرة: مكتبة الآداب، 2004.

109- نعمان، بوقرة. مدخل إلى التحليل اللساني للخطاب الشعري. د ط، الأردن: عالم الكتب الحديث 2008.

110- نعمة، دهش فرحان الطائي: مقاربات سوسيو لسانية، د ط، عمان: الدار المنهجية للنشر والتوزيع 2015.

111- نواري، سعودي أبو زيد. في التداولية الخطاب الأدبي. المبادئ والإجراءات. ط1، العلمة. الجزائر: بيت الحكمة، 2009.

112- هادي، نهر. الاتقان في النحو واعراب القرآن. ط1، ج1، اربد-الأردن: عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، 2010.

113- ابن هشام الأنصاري. شرح قطر الندى وبل الصدى. ط4، بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية، 2004.

114- ابن هشام. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب. تح: مازن المبارك. ط1، ج2، دمشق: دار الفكر للنشر والتوزيع. د ت.

115- أبو هلال العسكري. الصناعتين. دط، القاهرة، 1971.

116- الواحدي. التفسير البسيط. تح: عبد الله بن إبراهيم الريس. دط، ج11، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، دت.

117- يوسف، أبو العدوس. البلاغة العربية: علم المعاني-علم البيان- علم البديع. ط1، عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع، 2007.

الرسائل الجامعية:

1- ثقبايت، حامدة (قضايا التداولية في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني)، مذكرة لنيل شهادة الماجيستر. جامعة مولود معمرّي. تيزي وزو، 2012.

2- عبد الرحمان، بشلاغم . (تجليات مفاهيم التداولية في التراث العربّي. تفسير فخر الدّين الرازي لسورة " المؤمنون " أنموذجا) . مذكرة لنيل شهادة الماجيستر في اللسانيات العامة. جامعة أبي بكر بلقايد. تلمسان. الجزائر، 2013-2014.

3- مؤيد عبيد آل صونيت. (الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي). أطروحة دكتوراه متقدم بها إلى مجلس كلية الآداب في الجامعة المستنصرية، 2009.

4- يحي، بعيطيش. (نحو نظرية وظيفية للنحو العربي). أطروحة دكتوراه دولة، جامعة منتوري. قسنطينة، 2005-2006.

المجلات:

1- أحمد قاسم، كسار. "التقديم والتأخير في سورة البقرة". المجلة العالمية لبحوث القرآن. دون عدد، د ت.

2- إقبال سر الختم، عبد الباقي وأبا بكر النور زين العابدين، «الأثر التركيبي في دلالة التقديم والتأخير». مجلة العلوم والبحوث الإسلامية، العدد1، مجلد 16، (2015).

3- بدر الدين، العيني. "نواسخ الجملة الاسمية في شرح سنن أبي داوود". مجلة كلية العلوم الإسلامية، العدد39، (30 أيلول 2014).

4- عبد الكريم الدخيسي. «التقديم والتأخير في بلاغة العرب». مجلة ضفاف الإبداع. دون عدد، (17- أكتوبر 2016).

5- فضل الله، نور علي.« ظاهرة التقديم والتأخير في اللغة العربية». مجلة العلوم والثقافة، العدد 02، مجلد 12 (نوفمبر 2012).

المقالات والملتقيات:

1- مصطفى شعبان بسيوني مسعد. «أسلوب التقديم والتأخير في تنزيل الحكيم الخبير. كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية».

2- عبد الحكيم، سحالية، " التداولية امتداد شرعي للسيميائية " ، الملتقى الدولي الخامس للسمياء والنص الأدبي. المركز الجامعي. الطارف. د.ت.

فهرس الآيات

رقم	الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
01	وَلا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم ... وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ	البقرة	188	10
02	إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ ... وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ	آل عمران	140	10
03	مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ... دُولَةَۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ	الحشر	07	10
04	فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ	الأعراف	34	58
05	بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ	البقرة	95	59
06	لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ	الحجرات	01	59
07	بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ	القيامة	13	60
08	إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ	إبراهيم	42	60
09	﴿مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ	الفتح	02	60
10	إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ	يس	82	60
11	﴿سَلَٰمٌ هِىَ	القدر	05	66
12	وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ	البقرة	184	73
13	قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ	الإخلاص	01	75
14	وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ	البقرة	221	75
15	وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ	الملك	26	75
16	يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ	غافر	52	78
17	إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ	الفاتحة	05	78
18	فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ	الضحى	09	78
19	كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً	البقرة	213	79
20	وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا	مريم	31	79
21	وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ	الروم	47	80
22	وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً	الأنفال	35	81

23	إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ	طه	15	82
24	وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ	البقرة	196	82
25	كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ	المنافقون	04	82
26	إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا	الشرح	06	82
27	إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم	الغاشية	26-25	82
28	تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ	يوسف	95	83
29	وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً	النحل	66	83
30	إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ	الحجرات	13	91
31	هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ	المؤمنون	59	94
32	لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ	البقرة	255	94
33	لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ	الروم	04	95
34	إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ	القيامة	18-17	100
35	وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ... وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ	الشعراء	196-192	101
36	قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ	ق	01	102
37	إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى ... أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا	الإسراء	09	102
38	تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ ... نَذِيرًا	الفرقان	01	102
39	وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ	الشعراء	193-192	102
40	مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ... وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ	الحجر	09	102
41	وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ ... إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۚ	الدخان	3-2	102
42	وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا ... لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ۗ	الرعد	38	103
43	قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى ... وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ۖ	مريم	46	104
44	هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ... فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ	الحشر	02	107

45	أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ	محمد	24	109
46	وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ	يونس	48	110
47	وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ ... ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ	الحج	11	112
48	قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ ... وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ	النور	54	113
49	لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ	الصافات	47	114
50	وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ ... عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ	البقرة	124	115
51	قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ ... ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ	المائدة	119	116
52	وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ .... إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ	فاطر	28	117
53	وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ... أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ	التوبة	30	119
54	وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ ... فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ۖ	النحل	51	121
55	قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ ... وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا	الإسراء	110	123
56	وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ ... أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ	الحجرات	07	126
57	أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ	يونس	02	129
58	أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ... فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ۖ	الأعراف	185	130
59	فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ	الزخرف	25	131
60	فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ ... كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ	القصص	40	131
61	وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ... وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ	البقرة	114	133
62	لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ	البقرة	177	134
63	وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ ... عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ	الروم	47	135

فهرس المحتويات

الفهرس	الصفحة
شكر وتقدير	
مقدمة.	أ
الفصل الأول: البعد التداولي في اللسانيات	
المبحث الأول: التداولية: مفهومها، نشأتها	08
المطلب الأول: مفهوم التداولية.	08
لغة	08
اصطلاحا	10
المطلب الثاني: نشأة التداولية	12
1- التداولية عند الغرب	12
2- المنحى التداولي عند العرب	25
المبحث الثاني: مباحث التداولية	28
المطلب الأول: قضايا التداولية	28
1- أفعال الكلام	28
2- الافتراض المسبق	42
3-الاستلزام الحواري	44
4-السياق (المقام)	46
5-الإشاريات	49
المطلب الثاني: علاقة التداولية بالعلوم الأخرى	51
1- علاقة التداولية بالبلاغة	51
2- علاقة التداولية بالنحو	53
الفصل الثاني: التقديم والتأخير في الفكر النحوي البلاغي	
المبحث الأول: التقديم والتأخير في الدراسات النحوية	56
المطلب الأول: مفهوم التقديم والتأخير	57

المطلب الثاني: جهود النحاة في التقديم والتأخير	61
المبحث الثاني: التقديم والتأخير في الدراسات البلاغية	82
المطلب الأول: جهود البلاغيين في التقديم والتأخير	82
المطلب الثاني: الأغراض البلاغية للتقديم والتأخير	89
أولا: أغراض تقديم المسند إليه	89
ثانيا : أغراض تقديم المسند	94
الفصل الثالث: دراسة تحليلية تداولية للتقديم والتأخير في القرآن الكريم	
المبحث الأول: حول القرآن الكريم	99
I-مفهوم القرآن	99
II- أسماء القرآن	101
المبحث الثاني: التقديم والتأخير دراسة نحوية بلاغية، تداولية في نماذج مختارة من القرآن الكريم	102
I- التقديم والتأخير في الجملة الاسمية	103
تقديم الخبر على المبتدأ	103
II- التقديم والتأخير في الجملة الفعلية	115
1- تقديم المفعول به على الفاعل	115
2- تقديم المفعول به على الفاعل والفعل معا	120
III- تقديم خبر النواسخ على اسمها	125
تقديم خبر إنّ على اسمها	125
تقديم خبر كان على اسمها	128
الخاتمة	139
قائمة المصادر والمراجع	142
فهرس المحتويات، فهرس الآيات	